COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0023385375

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

أعلام الصحافة العربية

للدكتور

ابراهيم عبده

محمد على الكبير	شاكر شقير
الخديو اسماعيل	يعقوب صروف
رفاعة رافع الطهطاوى	أبو السعود والمويلحى
أحمد فارس الشدياق	سليم وبشارة تقله
بطرس البستانى	أديب اسحق
يعقوب بن صنوع	السيد عبد الله نديم
الشيخ محمد عبده	الشيخ على يوسف
خليل سركيس	مصطفى كامل

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة

مطبعة التوكل بالجماميز

١٩٤٤

أحمد أحمد بدوى
٢٧/٤/١٩٤٥

أعلام الصحافة العربية

للدكتور

ابراهيم عبده

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بالجماميز
١٩٤٤

PN
5359
.A2

الإهـــداء

الى النخبة المنتقاة من الصحاب الذين براهم الله على الود

واصطنعهم للمعروف وجمعهم على الخير

للصحاب الذين فاضت رقتهم فمسحت آلامي

لأصدقاء العمر . . . بعضه ما يستحقون

ابراهيم عبده

نشأة الطباعة والصحافة فى الشرق الأدنى

سجل تاريخ أوربا صفحة رائعة عن نشأة الطباعة والصحافة فيها ؛ فصور لنا كيف عرفت المطبعة ، ثم بين لنا مولد الدورية أو الصحيفة ، وقدم لها بمراحلها المختلفة فإذا تاريخ الصحافة الأوربية مجموعة من الصور البديعة للكفاح فى سبيل الرأى ، بدأ بالخبر المنسوخ ، وهو أول لون من ألوان النشر الصحفى ، وبيعت هذه الأوراق الخبرية للخاصة وأصحاب النفوذ فى مختلف دول القارة ، ثم هيأت المطبعة فرصة نشر الأخبار المطبوعة للعامة والخاصة على السواء ، ووجد الناس فيها لذة الفائدة ومتعة الإشاعة ووسيلة للقراءة الخفيفة المفيدة أحياناً ، ثم تطور الخبر المطبوع فإذا هو النشرة التى حدثنا عنها التاريخ ، وإذا الجازيتة تأخذ طريق النضج والاستواء فتصبح الجريدة التى نعرفها إذا استيقظ الصبح أو أقبل المساء .

لم يعرف الشرق الأدنى هذه الخطوات ؛ بل تأخر فهمه لفائدة المطبعة ردحا من الزمن كانت أوروبا قد جاوزت فيه هذا الدور البدائى فى نشر الأخبار المنسوخة والمطبوعة ؛ ووقفت القسطنطينية حائلا دون هضم الشرق بولاياته السلطانية لهذا الفن خوفا من الرأى الحر أن ينشر أو حرصا على فكرة دينية قدتسى اليها المطبعة ، ويذكر لنا تاريخها قصة ازدلافها الى السلطنة العثمانية ، فقد كانت الآستانة أول مدينة فى الشرق عرفت الطباعة ، إذ أنشأ فيها يهودى يدعى اسحق جرسون فى أواخر القرن الخامس عشر مطبعة عبرية ، وقد نزح من أوروبا لهذا الغرض ، ومضت مطبعته تؤدى رسالتها ثلاثة قرون ، غير أنها اقتصرت على طبع الكتب والتعاليم الدينية ليهود الشرق دون أن تتعرض لنشر كتاب علمى أو تاريخى أو أدبى ؛ ثم انتقلت المطبعة الى البلاد الشآمية واستقرت فى دير قزحيا جنوبى طرابلس حيث كانت حروفها سريانية وعربية مضبوطة الشكل ، وعالج الفن والذوق طريقة النشر فكان بعض صفحات الكتب فى لونين ، وبعضها فى اطارات منمقة

بديعة الإخراج ، ومنذ عرفت هذه المطبعة فى مطلع القرن السابع عشر ، أخذت مدن الشام كحلب تقيم هذه المؤسسات وتنشر الكتب ، وهى فى أغلبها كتب دينية لا تعرض لرأى حديث ولا تملك نشر فكرة تخالف مذهب أصحاب السلطان فى الحكم أو وسيلتهم فى تناول الحياة ، ثم عرفت المطبعة العربية فى الآستانة والقاهرة ومالطة وبيت المقدس والعراق على التوالى ؛ وللمطبعة العربية فى الآستانه والقاهرة تاريخ حافل ينبغى أن نعرض له فى إيجاز

حاول بعض الأتراك إنشاء مطبعة فى القرن السابع عشر فأفتى علماء الدين أن المطبعة رجس من عمل الشيطان ، فلم يجرؤ مواطن تركى على العودة الى هذا الرجاء الى أن قيض الله لها نصيرا فى شخصين هما محمد أفندى الحلبى سفير الباب العالى فى فرنسا وابنه سعيد افندى الذى غدا فيما بعد صدرا أعظم ، والذى هداه علمه ورحلته فى فرنسا الى تعرف أثر الطباعة فى حياة الشعوب ،

فأخذ على عاتقه الدعاية لتأسيس مطبعة بين أصحاب الرأى فى عاصمة الخلافة ، ثم اتصل بالصدر الأعظم وأقنعه بفكرته ، ورجا منه أن يتوسط له عند السلطان ، واقتنع أحمد الثالث سلطان تركيا بفكرة سعيد أفندى فاستكتب شيخ الإسلام ومعاونيه فتوى تؤكد أن المطبعة فضل من الله ! ثم صدر الفرمان العالى موقعا عليه بالخط الشريف سنة ١٧١٢ مرخصا لسعيد أفندى بطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث والفقه والكلام ، وهكذا استطاعت الطباعة العربية أن تأخذ طريقها فى عاصمة الخلافة وتنتقل منها الى هنا وهناك

أما تاريخ الطباعة فى مصر فيختلف أشد الاختلاف عن تاريخها فى الشرق ، فقد عرفت أصغر المدن فى الشرق فن الطباعة وحال المماليك دونها عدة قرون ، إلى أن نزل الجنرال بونابرت بجيوشه وعتاده أرض مصر سنة ١٧٩٨ وكان بين العتاد مؤسسة مطبعية ضخمة ، فيها عدة مطابع فرنسية وأخرى يونانية

وثالثة عربية للدعاية والإعلان ، وعن هذه المطبعة صدرت كراسات الدعاية ونشرات الأوامر التى كانوا يلصقونها فى الشوارع والعطف وعند أبواب المساجد كما يقول الجبرتى فى تأريخه لعهد الفرنسيين ، ثم صدرت عن هذه المطابع عشرات الكتب باللغتين الفرنسية والعربية فى الدين والتاريخ والآداب والفنون ، بل كانت هذه المطابع أكثر سخاء وأقوى أثراً بما نشرت من صحف فرنسية وبما حاوله الولاة من نشر صحيفة عربية تصدر عن مؤسستهم الأولى فى بلاد المصريين ، فنشاط هذه المطابع فى السنوات الثلاث التى قضتها الحملة فى مصر يعدل نشاط معظم مطابع الشرق الأدنى فى عشرات السنين ، ولم يعرف المصريون المطبعة فى تدريجها الى الكمال النسبى فى القرن الثامن عشر ، بل عرفوها كاملة فيما حمل اليهم الفرنسيون من مطابع رسمية أو مطابع حرة نقلت معهم بأصحابها الهواة المغامرين ، ثم اختفى هذا النشاط المطبعى زهاء عشرين عاما الى أن تأسست مطبعة مصر الكبرى فى بولاق على عهد محمد على الكبير بين سنتى ١٨١٩ و ١٨٢٠

والملاحظ هنا أن الطباعة فى مصر صحبتها الصحافة أيضا ، وهذا نقص كان فى الشرق الأدنى ، فقد شهد المصريون فى حملة بونابرت صحيفتين، إحداهما « بريد مصر LeCourrier de l'Egypte » فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ تحمل أخبار مصر الداخلية وهى الأخبار المحلية فى القاهرة والأقاليم، وتوزع كل خمسة أيام ، وكانت تتضمن أحيانا بعض الشعر والأدب وكثيرا من الرحلات وأخبار الوفيات وبعض الإعلانات المختلفة ، والصحيفة الثانية التى أنشأها بونابرت هى « العشرية المصريه La Décade Egyptienne » وقد تخصصت لنشر بحوث أعضاء المجمع العلمى المصرى وهى دراسات فى الزراعة والتعليم والأمراض وكل مايتصل بشئون الحياة المصرية غير بعض البحوث العلمية كأمثال لقمان الحكيم وترجمتها الفرنسية، ثم حاول الجنرال عبد الله منو ثالث الولاة الفرنسيين وآخرهم إنشاء صحيفة سياسية باللغة العربية تدعى « التنبيه » ولكن الحوادث عاجلته فحالت دون نشر أقدم صحيفة عربية فى الشرق لو تم لها الظرف والميلاد

هذا ملخص وجيز لنشأة الطباعة فى الشرق الأدنى ، أما الصحافة فى الشرق فقد نشأت فى كنف الولاة والسلاطين، نشأت صحافة رسمية فحسب ، وكانت أقدمها الصحافة المصرية ، فمصر عرفت الصحافة فى « جرنال الخديو » الذى أصدره ولى النعم محمد على رأس الأسرة الحاكمة المصرية سنة ١٨٣٢ وكان يطبع فى مطبعة القلعة بالقاهرة من مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمنا الأخبار الرسمية الحكومية وبعض القصص من الف ليلة وليلة ، وكان جرنال الخديو يرسل الى رجالات الدولة وموظفيها الذين يعنى الباشا أن يقفوا منه على أحوال البلاد ، وقد بقى هذا الجرنال يصدر لمحمد على وحده بعد إنشاء الوقائع المصرية فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٨ ، وهى الجريدة الرسمية الثانية التى أصدرتها حكومة الباشا فى مصر ، وبجانب هاتين الصحيفتين أنشأت الحكومة فى سنة ١٨٣٣ الجريدة العسكرية لشئون الجيش والجريدة التجاريه الزراعية فى سنة ١٨٤٨ لشئون التجارة والزراعة

وكان الحال مماثلا فى عاصمة السلطنة وإن جاء نشر الصحف متأخراً ، بل لم يكن فى العاصمة التركية الا جريدة واحدة رسمية هى جريدة لومونتيور أوتومان Le Moniteur Ottoman فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ولم تعرف البلاد الشآمية الصحافة رسمية كانت أوحرة إلا فى النصف الثانى من القرن الماضى غيرأن حكومة لوى فيليب الفرنسية أنشأت صحيفة « المبشر » فى الجزائر سنة ١٨٤٧ باللغتين العربية والفرنسية لإرشاد الوطنيين والمستعمرين الى الحضارة الجديدة ومشاكل البلاد ومصالحها الزراعية والتجارية والصحية

هذه الصحافة على عمومها كانت تصدر فى كنف الحكومات الشرقية المختلفة ، لا يملك محررها مهما يكن قدره فى عالم الأدب والمعرفة ، حق نشر موضوع من الموضوعات الا إذا أتاه الوحى من الوالى أو الأمير ، فاقتصر الجهد الصحفى على الصحافة الرسمية وشاع فى هذه الصحافة نشر الأخبار والدعوة للحكومة والحرص

على تمجيدها وإعلاء شأنها ، ثم إذاعة بعض المخلفات من الأدب العربى القديم ، والاختيار فيه لا يضيف الى العلم جديدا أو يثير فى النفس رغبة القراءة أو النقد أو التحليل ، لذلك فقد المشرفون على هذه الصحافة صفة الصحفى الذى يخط بيراعته ومقالاته تاريخا يستوجب الحديث عنه أو الاشارة اليه ، حتى تخطت الصحافة فى الشرق الأدنى هذا الدور الأولى ، ونزل الى ميدانها صحفيون نافسوا فى ميادين العلم والأدب والسياسة ، وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث تساوت تركيا والشام ومصر فى هذا النشاط ، يدفعها جميعا اضطراب الفكر الذى شمل تلك البلاد ، فنشأت الصحافة الشعبية أو صحافة الأفراد وسجلت بوجودها تاريخها الأصيل ، وأشاعت بلفتاتها ومجادلاتها تيارات فكرية نقلت الشرق من حال إلى حال ، وخلقت بوجودها شخصيات صحفية نحن اليوم بصدد بعضها ؛ نؤرخ لهذه الشخصيات كعنوان لغيرها من الشخصيات الصحفية التى تعز صفحات الكتاب عن استيعابها جميعا

محمد على الكبير

« مهداة للدكتور نور الدين طراف
طبيب رعاية الطفل بالجيزة »

لعل كثيرين يدهشون لاحتساب محمد على الكبير رأس ولاة مصر بين صحفيي الشرق وهو الأمير الذى تغلب على تاريخه صفات أخرى وقلما تذكر كتب التاريخ له لفتة صحفية أو تشير من بعيد الى موقف يصله بالصحافة وتاريخها ، ومؤرخو مصر معذورون إن شغلوا بمحمد على فاتحا أو منظما وأهملوا سياسته الصحفية ، فعهد الشرق بالصحافة قريب ، وحدب أمير من ولاته على الصحافة أمر غريب ، فكيف يسيغ المؤرخون أن يحسب على الصحافة رأس أمراء الشرق وهم الموقنون أن حكامه خصوم بطبعهم للصحافة وخاصة فى ذلك العهد الذى اعتبر فيه النشر بصوره المتباينة خطراً يؤذى النظام ويسىء الى الأخلاق ؟

ومحمد على صحفى ، بل أجمل مافى تاريخه هذا الجانب من نشاطه

الذى أهمله المؤرخون رعاية لمكانة الأمير الذى قد يهون انتسابه للصحافة من مكانته بين أقرانه من الأمراء ، وليس غريبا على محمد على أن يشغل جزءا من حياته فى إنشاء الصحافة ورعايتها فان نظمه التى أعدها لمصر استوجبت إصدار الصحف ، وهو يرعى هذا النشاط بنفس الحمية والإيثار الذى بذله لكل نواحى التجديد فى مصر ، بل كان إصدار الصحف وسيلته لفهم آثار هذه النظم ، ورسالته الى موظفيه من الحكام والمأمورين ، فقد أنشأ النظام الادارى ، ثم اختص قلعته بمطبعة تقوم على طبع صحيفة يقال لها « جرنال الخديو » ولى إدارتها رجلا يؤثره ، وجعل من إدارته واسطة بينه وبين مختلف الإدارات ومراكز الحكومة فى الأقاليم ، عين لديوان الجرنال فى القاهرة نخبة من الكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية ، ووظف بعض عماله فى الريف لجمع أخبار الدولة ، على أن يتولى « محمود افندى جرنال ناظرى » أى ناظر الجرنال جمع هذه الأخبار وصياغتها فى إدارته وتقديمها لأعتاب ولى النعم فى أوقات ضربها له

وألزمه برعايتها . .

ويشاء ولى النعم أن تنتظم أخبار الجرنال حتى لا تضطرب « المصلحة » والمصلحة هنا مصلحة الشعب ، فالجرانيل عند الباشا وسيلة لفهم شئون الناس وتقدير معاملة موظفيه « للعباد » وهو يأمر بأن يترك القائمون بنسخ الأخبار والإشراف على الجرنال « برزخ الاستراحة » حتى لا يبقى « عباد الله فى التعب » أو تغيب عنه مصالحهم

•

وولى النعم لا يدعو الى انتظام الجرنال فى رفق ، ولا يأخذ موظفيه فى أمره بهوادة ، بل هو ينذر بالقانون ، والقانون يعاقب المهمل فى الجرنال « بالضرب ٣٠٠ نبوت » !

نعم ثلاثمائة نبوت . . . . . وهو فيما نعتقد عقاب لم ينفذ ، أو لعله نفذ مرة واحدة على سبيل التذكرة والعبرة ، فان ثلاثمائة نبوت لون من العقاب الموت أهون منه على

أى حال . . .

وقد يبدو من هذا العرض لماهية « ديوان الجرنال » أنه كان وقفا على الوالى دون حكومته ، وأنه قمين بأن يكون تقريرا خاصا لا يتصل بالصحافة أو يمت اليها بسبب ، بيد أن هذا الجرنال كان يطبع يوميا من مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمنا الأخبار الرسمية وغيرها وبعض قصص من ألف ليلة وليلة ، وكان يرسل الى رجالات الدولة ومأموريها الذين يعنيهم أن يقفوا على أحوال البلاد بشرها وخيرها ، وقد أمر بإذاعة بعض القصص فيه حتى يحبب قراءته الى رجال دولته

وليس فى هذه المقدمة الصحفية ما يغرى باعتبار محمد على صحفياً أو يزيده عن نظرائه من الولاة شأناً فى هذا الباب ، غير ان محمد على يخطو خطوة أخرى فلا يقنع بجرنال الخديوى ، فهو يريد صحيفة كالصحف التى يتلقاها من أوروبا والتى كانت تقرأ له

ويعجب بما فيها ، وكان حفيا بها حريصا عليها حتى انه كتب الى بغوص بك يحذره أن يهمل ارسال تلك الصحف اليه وينذره إن أهمل بعقوبة لا تنفع معها تعلة أو اعتذار ، هو يريد صحيفة مماثلة لتلك الصحف تتسع لجميع أغراضه ، فأنشأ « الوقائع المصرية » فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ ، ثم هيأ لها خطة الذيوع والانتشار على نهج يحقق آماله فيها ورجاءه منها ، فأمر بتوزيعها على كبار رجال دولته وزوجاته والعلماء ، ثم طلاب العلم الذين كان لهم عنده مكانة ممتازة ، فقد عنى بهم الوالى ، يرجوهم للحكم ويعدهم لأعبائه لذلك كان توزيع الوقائع عليهم ضرورة تمليها التنشئة التى رغب فيها الباشا ، يريد أن يعلموا من أمر النظام الجديد أكثر مما كان يرجو أن يعلمه غيرهم من فئات الناس

ثم يأمر محمد على بأن يشترك فيها الموظفون ، فاذا أحس أن بعضهم يتبرم بهذا التكليف أمر بأن يقصر اشتراكها على كبار الموظفين ، ويباح لغيرهم حق الاشتراك فيها إذا شاءوا ، فالوقائع

فى اعتباره « شيء رقيق لطيف وليس هو بالشيء الذى يعطى بالإكراه بل إنما يعطى بتدلل » ولم يعف ضباطه من قراءتها ، وأمر بأن تلاحقهم الوقائع فى أعماق السودان وترسل اليهم فى جزيرة العرب أو الشام حتى حدود الأناضول ، ويبعث اليهم بها فى كريت ، ثم يذكر مبعوثيه فى أوروبا فأمر بأن تنقل اليهم مع بريده إلى باريس أو لندن أو روما أو فينا أو فى غيرها من بلاد أوروبا حيث يكون المصريون طلابا للعلم أو فى مهمة من مهمات الدولة الكثار

وظيفة الباشا هنا تذكرنا بمديرى الصحف الذين وكل اليهم أمر الإدارة والتوزيع !!

فاذا ضمن الوالى توزيع الوقائع بحيث تصبح مقروءة فى جميع البيئات المصرية راقب بنفسه صلاحية النشر فيها ، وأخذ يشير برأيه فى أدق مسائلها وأهونها ، يعنيه أن تؤدى مطبعة الصحيفة وظيفتها أداء حسنا ، يشير الى ذلك ما كتبه الى سامى

بك مامور الوقائع يستفهم عن أحد العمال الذى أثارت كفايته الشكوك « أنت الآن موجود بمصر فاستدع العامل المذكور واختبره جيدا هل يستطيع أن يقوم بصنع الحروف كما يجب ؟ » فهو يريد أن يكون عماله الأصغرون على كفاية فلا تضايقه الأخطاء المطبعية وخاصة تلك الأخطاء التى يترتب عليها اضطراب فى الموضوع ، وقد كتب فى ذلك إلى مختار بك يخبره بأنه طلب مسودات قائمة الضباط المطبوعة فى الوقائع وعاينها فوجدها غير مطابقة للمطبوع ، وأصدر أمراً بأن يستدعى ناظر الوقائع ويستجوب فى سبب تغيير بعض الأرقام دون إستئذانه ثم يذكر فى هامش كتابه « بأنه اذا تبادر الى الخاطر بأن مثل هذه الأخطاء توجد فى كل الجرائد فهناك ملحوظه هامة وهى أن الوقائع المصرية جريدة حكومية وأن مركزها خطير لذلك يجب الاهتمام فى صحة مندرجاتها وعدم نشر أى شىء فيها قبل الوثوق من صحته وقبل السؤال عنه وفهمه جيدا »

وطبيعى أن الجهد الذى بذله الباشا وحكومته فى إصدار الصحيفة وتمكينها من الرواج كانت تدفعه أغراض كثيرة ، فالجناب العالى كان يرسل اليها أوامره لتنشر فيها وأن تكون مكانا خصبا لمدحه والثناء عليه ، كما كان يوعز بالمقالات التى من شأنها أن تعلن جهدا من جهوده المتباينة وتبين فضلا من أفضاله المواتية ، وكانت الأخبار الهامة التى ترسل للطبع يصدر معها أمر عال « بأن تكتبوا مقالا شائقا فى الوقائع فى هذا الشأن » كان يهم الباشا أن يرى الجمهور فى هذه المقالة صورة للحكومة العادلة وكانت أمثال هذه المقالات التى يضعها أحد رجاله أو عماله سواء كانوا من المصريين أو الفرنجة تلقى من لدنه عناية خاصة فيطلع عليها ويدلى فيها برأى قبل نشرها فى الوقائع ، ويبين لنا كتاب المعية الى بغوص بك مدى التفات الباشا الى مثل هذا الموضوع حيث قالت فى كتابها « وصلت لنا مقدمة الوقائع — أى الافتتاحية — التى نظمها الخواجه ميمو فاطلع عليها جناب ولى النعم فحازت الاستحسان عنده ، وصدرت الإرادة السنية بأن

تنشر فيها ، وفى خطاب آخر من المعية الى مختار بك يوضح لنا أن هذه الافتتاحيات كانت عرضة للتغيير والتبديل فقد « اطلع الجناب العالى على المسودة التى وضعها المسيو لوبر من أعضاء شورى المدارس لطبعها فى الوقائع . إننا وان كنا عدلنا فيها بالمحو والأضافة بدون تغيير فى المعنى الا أننا رأينا أن الأمر يتطلب حتما إبدال صيغتها تطبيقا لأصول الإنشاء »

والمعية هنا لا تشير برأى وانما تتلقى الملاحظات من ولى النعم لتبليغها ، وليست الافتتاحية وحدها التى كانت تلقى الرعاية وتختص بالعناية بل ان الحوادث المهمة التى كانت تنشر فى الوقائع كان الباشا يحددها ويرسلها الى ديوان المطبعة لتنشر فى الجريدة الرسمية ، فقد تلقى حبيب أفندى كتابا جاء فيه « كتبت اليوم الحوادث المراد طبعها ونشرها فى الوقائع وأرسلناها ضمن كتابنا هذا لمقامكم الكريم ، وان من مقتضى أمر ولى النعم أن تكلفوا بترجمتها الخواجه نصرى وكيل الحرير » وكان الباشا يسوءه جدا

نشر الأخبار التافهه أو الحوادث التى لا تليق بكرامتها ، وقد كتب الى مأمور الوقائع مراراً يلفت نظره إلى هذه الأمور الجزئية ، ثم يعقب فى إحدى هذه الكتب على خبر سىء نشر فى الوقائع « لقد أخذنا العجب فى درج مثل هذه الحوادث القبيحة فاذا علمتم ذلك فعليكم من الآن فصاعداً أن تدرجوا الحوادث اللائقة بالنشر وتتجنبوا نشر ما لا يليق نشره وأن تلاحظوا ذلك بكل تدقيق وإهتمام لأنه من مقتضى ذمة خدمتكم ومطلوبى أن تكونوا بعدئذ على انتباه وبصيرة » وكان المفهوم أن أوامر الأمير ستلقى أذنا مصغية ، غير أن الجريدة نشرت خبرا جاءها من الجيش عن حادث بين بكباشى الأورطة بدمياط وبين البولك أمين ، فأرسل الباشا يعنف ناظر الجهادية ويأخذ عليه أنه أذن بنشر أخبار لم يكن يليق بكرامة الوقائع أن تنشر فيها ، ثم يطلب معاقبة الذين عملوا على نشر هذا الخبر

أدى نشر الأخبار التافهة فى الصحيفة الى التفات محمد على

اليها التفاتا خاصا فرأيناه حريصا أشد الحرص على أن يطلع بنفسه على كل موضوعات الوقائع التى تعد للنشر حتى يأمن عثرة المحرر ويحقق للجريدة كرامتها ، وقد تلقى مأمورها خطابا من الجناب العالى يفسر لنا هذا كله « اطلعت على خطابكم الذى تقولون فيه إنكم استقللتم ما أرسلناه لكم لتنشروه فى الوقائع عن توجيه رتبة أمير اللواء على ابراهيم بك ، وأنكم أعدتموه لنا لنصححه ونزيد فيه . انك يا هذا رجل مبتل بالثرثرة ، ولكن ليس لزاما علينا أن نكثر من الكلام كما تكثره أنت ، فانشر ما أرسلناه لك من قبل كما هو ، واذا لزم من الآن فصاعدا نشر شىء فى الوقائع فأرسله لنا أولا لنطلع عليه حيث لا يجوز نشره من غير أن نراه » وقد جرت العادة منذ ذلك الوقت على أن يرفع ناظر الوقائع مسودات الجريدة قبل الطبع ليقرأها الوالى ويقضى فيها برأى ، يؤكد هذا خطاب ثان أرسل من المعية السنية الى مأمور الوقائع ينبئه فيه بأنه عرض « على الأعتاب العالية

المسودة التى أرسلتموها ضمن كتابكم الشريف لدرجها فى الوقائع وقد أجرينا فيها بعض التعديلات وأعدناها لكم لطبعها ، وبعثنا لكم بالمسودة التى وضعناها ضمن خطابنا هذا ، والاهتمام بهذا الأمر من مقتضى الأرادة السنية ،

وظيفة الباشا هنا تذكرنا برؤساء التحرير الذين وكل اليهم أمر الخبر والمقال ! !

وقد دلتنا هذه الوثائق التى أشرنا الى طرف منها على أن عناية محمـــد على بالوقائع المصرية لم تكن عناية سطحية تتفق ومتاعب الوالى الذى كانت تشغله الحياة العامة بمسائل أخطر كثيرا من الجريدة الرسمية ، ولكن الباشا عارف بقدر الصحافة وأثرها فى حياة الشعوب ، لذلك وسعت مشاغله أمور الجريدة التى كانت تصدر فى بعض أيامه أكثر من مرة فى الأسبوع ، وهو وإن يكن بعيداً عن تحرير الصحيفة بالمعنى المفهوم أو إنشاء مقالاتها كما يصنع المحررون ، أو جمع أخبارها كما يفعل المخبرون

الا أنه يرعى ذلك كله بذهنه الواسع ولفتاته الرائعة ويراجع بنفسه الأخبار ، ويشير بالمقالات ، ويحذف ما يجيئه منها اذا لم يتفق ذلك مع كرامة الصحيفة أو أصول الفن الصحفى ، وهو لا يبخل عليها بمال أورجال ، ويأمر بأن يلى أمر طبعها عمال مهرة لا تشوب كفايتهم شائبة ، ثم يعين لتحريرها والإشراف عليها خيرة رجاله ، ومن بينهم مختار بك مدير المدارس وبغوص بك ثقته فى المسائل العليا ، وبعض كبار المعلمين الفرنجة ، ويضع لنواحى التحرير العربية رفاعة رافع الطهطاوى أستاذ المدرسة الصحفية فى عهده وعهد خلفائه الأقربين ، وهو عالم له فضله وأثره فى النهضة اللغوية والترجمة فى القرن التاسع عشر

فمحمد على إذن فى هذه الناحية ليس كغيره من ولاة عصره الذين شغفوا بالصحافة الرسمية على سبيل التقليد أو استكمال مظهر من مظاهر السلطان ، لذلك كانت الوقائع فى عهده أمراً ضرورياً وشيئاً يتصل بوظيفة الحكم ولا يمكن أن تستغنى عنه

الدولة ، ويكفيه أن يحتفظ لنفسه فى تاريخ الصحافة الشرقية بهذا الجهد المتصل للابقاء على أقدم صحيفة عرفها الشرق ، وضرب المثل لغيره من الولاة والحكام ، والاعلان عن قدر الصحافة فى حياة البلاد حتى قلده غيرهم فسجلوا فى صحافتهم تاريخ النشاط الشعبى والحكومى ، وتركوا لنا بذلك موارد يرتادها الباحثون كلما أعوزتهم الحقائق التاريخية فى جداولها الأصيلة

وبعد فالصحافة فى الشرق صاحبة جلالة منذ بعيد ، وآية ذلك هذا العرض لسهم أمير أمراء الشرق فى تاريخها العريض

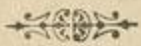

الخديو اسماعيل

« مهداة للاستاذ محمد فتحى المراقب العام
المساعد للاذاعة اللاسلكية المصرية »

مهما تختلف آراء المؤرخين فى تقدير حكم الخديو اسماعيل لمصر فان لدينا من الوثائق التى اكتشفت أخيراً ما ينتزع منا الإعجاب بناحية كانت مستخفية فى تاريخه، فاذا إسماعيل أقدر رجال الحكم فى القرن الماضى، فى الشرق والغرب، على توظيف الصحافة فى شئون الدولة، تعاون وزير خارجيته إذا نزح الى أوروبا، وتسند وزير داخليته فى مشاكل الحكم، وتعلن عن مصر فى مصر والشرق، وتؤيد بسلطانها دعائم سلطانه، وتنافس مدارسه فى تعليم شعبه بل تسبق مدارسه الى إعداد رأى عام حر لم يشهد له الشرق مثيلا من قبل

يقبل إسماعيل فاذا اتفاق قناة السويس الذى عقده سلفه

يجور على سلطان الدولة ، ويكلف خزانتها فوق احتمالها ، فيأبى الخضوع لهذا الاتفاق ويسافر رسوله نوبار باشا الى اوروبا ، فيحارب شركة القنال بأسلوبها ، ويوظف الصحافة الباريسية وفى مقدمتها «الطان» فى منازلة ألسنة الشركة من صحف وصحفيين ، واذا فرنسا بأسرها تشغل بقضية مصر ، واذا « جريدتنا » الطان كما كانت تسمى تحمل على خصومه وتعلن عن مصر أحسن إعلان ، تؤيدها صحف مرسيليا وغيرها من صحف الأقاليم ، ولا يعنيه بعد ذلك أن تتكلف خزانته عشرات الألوف من الفرنكات فان اسم مصر وحقوق مصر لا ينبغى أن يدخل فى حسابها ألوف الفرنكات أو الجنيهات ، ثم يأمر الوالى ناظر خارجيته أن ينشىء فى باريس مكتبا يسميه « مكتب الصحافة » تدوم خدمته ويكون وسيطا بين الباشا وبين صحافة فرنسا ووكالات أنبائها ، وتمتد وساطته الى صحف بلجيكا ، على أن يقوم الكونت زيزينيا فى الاسكندرية بنفس هذا العمل اذا احتاج ولى النعم الى صحف فى ايطاليا أو فى غيرها من بلدان قلب أوروبا

كان هذا أول نشاط صحفى لاسماعيل ، بدأ فى الخارج ولم تشعر به مصر ، لأن قضية القناة جابهته ولم يمض فى أريكته الخديوية شهورا ، فاذا استقر أمره بعد سنتين التفت الى صحيفته الرسمية ، الوقائع المصرية التى « سطت عليها أيدى الليالى ومزقت صحفها كل ممزق فى الزمن الخالى ، فبقيت نحو سنتين معتقلة اللسان تنتظر فرجاً باعتدال الزمان » كما يقول خـــيرى بك مكتوبجى الحضرة الخديوية ، وهو يؤرخ للوقائع فى نهاية عهد سعيد ، فكتب الخديو الى ناظر ماليته يقول « إن من المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالى ولدى الحكومة ، ولذلك فانى أرغب فى إدخال جريدة الوقائع المصرية فى عداد الجرائد المعتبرة » وتم له ما أراد فاذا للوقائع « منافع ومحسنات » عند المصريين الذين قرءوا صحيفة جالت فى ميدان العلوم والفنون وزخرت بأخبار الدنيا من الصين الى الأمريكتين ، وتمت « المنافع والمحسنات » للحكومة أيضا بما أخذته الوقائع على عاتقها من التعبير

عن سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، ومكافحة خصومها ورد أعدائها وتفنيد دعاواهم

والخديو الذكى يقدر موظفى جريدته فلا يبخل عليهم بمال بل هو يبذل لهم فى سخاء ، ثم يختار لقلم الوقائع مكانا يليق بصحيفته ، ويذهب إلى أكثر من هذا فيأمر للمحررين « بالبن والفحم لزوم القهوة والماء العذب لزوم المشروب » ! ! وحسب كاتب الخبر والمقال أن يصفو مزاجه ويعتدل ، ويلبيه الساقى إذا ثقل عليه القيظ أو خمد فيه الذهن

ولما كانت للجرائد « منافع ومحسنات » فقد أنشأ الخديو صحيفة لشئون الطب فى ١٨٦٥ سماها « يعسوب الطب » تشرف عليها الحكومة وتنشرها مطابعها ، على أن تقدم لمطالعيها من رياض الطب وأزهاره ما يغنيهم عن الرجوع الى مطولات الكتب وشروحها أو المجلات الطبية الأجنبية وفصولها الطوال ثم أردف ولى النعم صحيفة لضباطه وجنوده سماها « الجريدة

العسكرية المصرية » وهى كما تقول افتتاحيتها « لاتختص بالاشتمال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط ، بل يندرج فيها أيضاً فوائد جليلة وإرشادات جميلة مما لا بد منه لكل إنسان متمدن ولا بأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة والفنون المتنوعة ، مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة بادراج يوميات محصل ما يحصل فى سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوليتيقية أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية »

ثم أصدر الخديو صحيفة مماثلة بعد تسع سنوات سماها « جريدة أركان حرب الجيش المصرى » لتزامل الجريدة العسكرية ولكنها تخصصت ببحث الموضوعات التى تهم كبار الضباط وهيئه أركان حربه فكانت أكثر تخصصا للجيش ونظمه ومبتكراته وآثاره

وفى خلال ذلك يأمر سموه بأن يكون لتلاميذ المدارس

صحيفة يسميها « روضة المدارس » يضع على رأسها على مبارك باشا ويولى أمر تحريرها رفاعة رافع الطهطاوى يعاونه ألمع أسماء العصر ، فكانت ميدانا رحيبا من ميادين الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، بحيث تكون فيها كما تقول هى « الفوائد المتنوعة والمسائل المتأصلة والمتفرعة أقرب تناولا للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذا لمن يعانيها من قريب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجشمة لصعب التراكيب ، ومعان رجيحة تنخط فى سلك مستحسن الأساليب . . . . فإن المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تنكشف للعامة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستورة ، وتستضىء بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة » .

وإذن فنحن أمام شخصية تذكرنا بهذه الشخصيات الصحفية

الضخمة التى تنشىء مؤسسات النشر فتعاون على نهضة الفكر وتهذيب الرأى ومعالجة الجهل والانتصار عليه فى كل ميدان

وهذا بعض نشاط الخديو الصحفى الرسمى ، غير أن لإسماعيل مطالب لملكه ورسالة يريد أن يؤديها لعرشه وأخلافه من بعده وأمانى يرجوها لسلطانه ليتحقق بها استقلاله ، وهو لا يريد حرباً مع السلطان ينتزع بها هذا كله ولا يضمن بقاءه ، فليجرب الدعاية عند الباب العالى ، فلعل دعاته وماله يستطيعون انتزاع فرمانات الاستقلال من غير دماء ، ورسم الخديو الذكى سياسته ونفذها ببذخ ، أعان صحفا وخلق صحفا وأبقى على كثير من الصحف والصحفيين

كان عمال دعايته فى الآستانة ثلاثة ، أبراهام بك وعلى بك الكريدى وأحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب أكبر وأخطر صحف الشرق إذ ذاك ، وللأول الصدارة فى الدعوة والقيام بها ، واليه وكل الخديو شراء الرجال فى يلدز ، وشراء

الرجال فى الصحف ، بل شراء الصحف نفسها ، والصحف الأجنبية
خاصة التى يحسب لها رجال الخليفة ألف حساب ، أما الشدياق
فكان ولاؤه لأسماعيل يقوم على شىء من الود المتصل بين زعيم
الصحافة الشرقية وكبير ولاة السلطان ، وقد امتحنت صداقتهما
يوم عزل إسماعيل فأبى أن يسود صحيفته بكلمة سوء عنه ، بل
دافع عن سياسته ورسالته ولقيت صحيفته عقابها على هذا الوفاء
عطلت عدة شهور ، وهو لا يدعو له فحسب بل يكتب إليه بأنباء
المابين ، واتجاهات ذوى السلطة وأخبار الشرق مستقاة من
صدق المصادر ليعرف خديو مصر كيف يحاربه خصومه
وأين هو من تيارات السياسة العليا فى دولة السلطان .
الداعيان الآخران يتناوبان الكتابة للخديو ، ويفصلان له جهد صحافة
قسطنطينية فى الدفاع عن سياسته فى مصر ، ويتلقيان منه المقالات
الأخبار لنشرها فى تلك الصحف ، وكان أسماعيل حفيا بأصحاب
تحرى هذه الصحف حفاوة يندر أن يكون لها مثيل عند الملوك

والحكام ، فقد زار مصر (ادكار وينكار) محرر « الليفنت هيرالد Levant Herald » فى القسطنطينية ، فإذا خديو مصر يأمر فتقدم له إدارة السكة الحديدية قطاراً خاصا ينقله إلى القاهرة !! وينزل عشرات من الصحفيين الأجانب مصر ، فإذا فندق شبرد (أى شبرد) يستقبلهم كما يستقبل الملوك على نفقة الخديو الخاصة ، وتقوم السلطات بخدمتهم كضيوف لولى النعم !

وقد كان إسماعيل معنيا أشد العناية بصحفيي الآستانة ، فقد وافق سموه على إعانة قدرها ثمانمائة جنيه لمدة خمس سنوات لصاحب « الليفانت هرالد » ، على أن يقوم صاحب هذه الجريدة بإذاعة أخبار مصر والدعاية للوالى والتوسط لمشروعاته عند أصحاب الشأن من الأتراك والأجنبيين ، ولم تكن هناك صحيفة فى تركيا إلا ونالت من صلات الأمير أو عطفه الشيء الكثير ، ثم عطف على صحف الشام وهى صحف يعنيه أن يمدها بماله لأنها تقرأ فى مصر أيضا فمنحها الإعانات والصلات

واشترك فى أكثرها ، وكانت صحيفتا « الجنان وحديقة الأخبار » فى مقدمة صحف الشآم التى نالت تأييد الخديو وعطفه .

ثم كان لشركتى « هافاس وروتر » شأن فى سياسة إسماعيل الصحفية ، ولم يغفلهما الخديو أو يقلل من شأنهما ، فرتب للشركة الأولى ألف ليرة فى كل عام ومنح الثانية ستين ألف فرنك كل سنة ، وكان مندوبهما فى مصر يتقاضى ألف فرنك كل شهر ، ولم تعط هذه المنح اعتباطا ، فكثيراً ما حملت عليه صحف لوندره بمقالات من شأنها أن تسىء إلى سمعة مالية الحكومة المصرية ، وكانت قصاصات هذه الصحف تقدم للخديو ليرى رأيه فيها فيطلب إسماعيل المسيو شيلان مندوب شركتى « روتر وهافاس » ويسلمه المقالات ليرد على حملات الصحف الإنجليزية

ثم تختلف سياسة الخديو الصحفية فى مصر ، فإذا هو عرضة لحملات بعض الصحف المصرية والفرنجية وفى مقدمتها « لوبروجريه إجبسيان Progrès Egyptien » ولها فى خصومته

مثيلات لا يحتمل ذكرها المقام ، وقد استصاع الأمير أن يبدل من سياسة بعضها ونذكر له فى ذلك مثالين ، فقد كانت جريدة « L'Egypte » أشد صحف مصر خصمة لسياسة الخديو حتى أن محرر « الوقائع » جعل من خطتها الرد على مفتريات ليجبت ، بيد أن إسماعيل أجرى مع ناشرها المسيو « أنطون موريس » اتفاقا لمدة خمس سنوات تطبع فيه الجريدة على ذمة الحكومة المصرية مقابل ألف وثلاثمائة وستة عشر جنيها وتسعة وستين قرشاً فى السنة ، ثم استحوذ الخديو على « Le Phare d'Alexandrie » التى هزأت بحكومته وعلى رأسها نوبار باشا إذ زعمت أن « ليست عنده حاسة الرجل العمومى ولا يفهم فى السياسة شيئا » ومن ثم أصبحت لوفار صحيفة اسماعيل بعد أن عقد مع مديرها المحامى هايكاليس (باشا فيما بعد) اتفاقا لمدة خمس سنوات مقابل خمسين ألف فرنك فى كل سنة

أما سياسة اسماعيل الصحفية مع الجرائدالوطنية العربية فقد

تبدلت حسب الظروف ، فهى صحف تنال بره وماله إذا التزمت جانب سياسته كما يؤيد ذلك تاريخ صحيفة « وادى النيـــل » لأبى السعود أفندى ، وروضة الأخبار ، لمحمد أنسى أفندى وهى موضع سخطه وإضطهاده إذا إشتدت فى النقد أو أغلظت فى التعليق كما حدث فى جرائد أبى نظارة وغيرها ، غير أنه شجعها بالرغم من صداقتهـا أو خصـومتها كلما تأزمت الأمور بين مصر والدول الأجنبية

وإذا كان خديونا من هذا العرض يعيش فى صحافة الشرق الأدنى وأوروبا جميعا وهى فى اعتباره أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل السلطان ، فان رجلا هـذا حسه وهذا فضله لا يمكن أن تؤرخ الصحافة العربيـة دون أن يكون فى مقدمة رجالها لأن له فيها تاريخا .... وأى تاريخ ؟

رفاعة رافع الطهطاوى

« مهداة للأستاذ محمد فتحى لهيطة
التاجر بمدينة الاسماعيلية »

إختصمت الثقافة الشرقية والغربية فى صحفينا الطهطاوى ، فهو من الممتازين حفاظ القرآن ومن نوابغ تلاميذ القصابى والشيخ حسن العطار ، وخاصة الأخير منهما الذى احتفى به وفتح له بيته وتلقى عليه علوما متباينة ، من أهمها التاريخ والأدب والجغرافيا ، حتى أصبح فى نظر معاصريه « الأديب الأريب العلامة الثبت الثقة الحجة فى كل علم وفن الذى سابق جهابذة عصره فى مضمار العلوم والفنون ، فلم ينتظم معه فى سمطها أحد إلا كان واسطة العقد فى جيد الزمن »

ولد رفاعة الطهطاوى فى مطلع القرن التاسع عشر ، وأمضى فترة شبابه فى الأزهر ، ثم أوصى به أستاذه العطار ليكون إماما للأرسالية التى بعث بها الوالى إلى باريس ، وهناك لم يقف حياته

على الإمامة وحدها ، بل مضى مرتحلا فى الربوع الفرنسية رحلته المشهورة المسماة « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » وقد تعلم اللغة الفرنسية وأكثر من الاتصال ببعض الشخصيات العلمية ، وخاصة المسيو جومار والعالم البارون دوساسى ، وكانت إقامته فى باريس لعدة سنوات عرف فيها كيف يترجم فى جميع العلوم على اختلاف اصطلاحاتها ، فلما عاد إلى مصر عين مترجماً فى مدرسة طرا ، وترجم فى أثناء هذه الفترة جزءاً كبيراً من جغرافية ملطبرون ، ثم أسس مدرسة الألسن ، وكانت أهم لغة تدرس فيها اللغة الفرنسية ، واتسع نشاطه فى الترجمة خلال وجوده فى هذه المدرسة ، ومن زملائه ومعاونيه فيها الشيخ أحمد عبد الرحيم الذى أصبح فيما بعد محررا للوقائع ، وقد تخرج على يدى رفاعة بك كثير من نوابغ التلاميذ الذين ولوا شئون التدريس فى المدارس المصرية ، وكان نشاط المترجم مضرب الأمثال ، فهو يدرس لهم فى مدرسة الألسن اللغة وفنون الإدارة والشرائع الإسلامية والقوانين الأجنبية وفنون الأدب العالية

حتى أصبحوا « فى الإنشاءات نظما ونثرا أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم » .

لذلك كله كان الشيخ رفاعة أجدر المصريين بمنصب رئيس التحرير فى جريدة « الوقائع المصرية » الذى ألقى اليه رسمياً فى سنة ١٢٥٧ هـ ، وقد استطاع أن يفرض وجوده وشخصيته فى تحرير الجريدة بالرغم من تكليف محمد على الكبير لبعض الشخصيات الكبيرة كأرتين بك بالعمل فى بعض شئونها ، غير أن الطهطاوى تمكن من بزهم والتفوق عليهم ، فبدأ جهده فى أول الأمر بتنظيم الجريده وتغيير اسمها ، وينبغى أن نذكر أن الوقائع فى عهدها الجديد بدأت تتمصر فى كل شىء فى لغتها أولا إذ أخذت اللغة العربية مكان الصدارة « حيث أن حضرة الشيخ رفاعى سيضع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية » ثم ترجمت إلى اللغة التركية فى قالب حسن دون الإخلال بالأصل العربى ؛ ثم استطاع صحفينا أن ينتزع من ولى النعم محمد على أمراً

بأن يكلف ناظر مطبعة بولاق بمهمة الترجمة إلى التركية ، وناظر مطبعة بولاق كان فيما مضى المسيطر على الموقف جميعه ، إذ كان مشرفا على المطبعة والوقائع معا ، وفى ذلك لون من التخصص تفرغت له الجريدة الرسمية

ثم استطاع الطهطاوى بعد أن مكن للغة العربية ومكن لسلطانه فى الوقائع أن يجعل الشئون المصرية أهم ما فيها وكانت من قبل شيئاً مهملا بالقياس إلى العناية بشئون الخارج ، وأقره ولى النعم على ماذهب اليه ، وقال فى وثيقة التنظيم « أما الحوادث الخارجية وإن كانت ستنشر فى الجريدة إلا أن الأخبار المصرية ستكون المادة الأساسية » وأشاع رفاعة التجديد فى صحيفته فكانت الأخبار الجديدة التى لم يتقادم عهدها لها المنزلة الأولى حتى لا تسقط قيم الأخبار كما كان الحال من قبل ثم أجابت السلطات رغبات المحرر فأمرت الدواوين المهمة بموافاة إدارة المدارس بالأخبار ، ولكن الطهطاوى يحتاط للأمر ويخاف

تكاسل المسئولين فيقرر أنه إذا لم ترد هذه الحوادث فى « الوقت المناسب يكلف على لبيب أفندى معاون ديوان المدارس المترجم العربى بالذهاب إلى الدواوين لإحضار الأخبار » وهذا نظام جديد مماثل تماما لما تتبعه صحفنا المعاصرة ، فالحياة الصحفية الصحيحة لا تستقيم بغير انتظام أخبارها ، لذلك أعدت الصحافة فى كل مكان عمالها لموافاتها بالحوادث والأخبار ، فالوقائع تسبق الصحف فى الشرق جميعا فى هذا التنظيم الإخبارى الحديث ، ويعتبر من أهم الحوادث فى تاريخها تعيين مخبر يوافيها بالأخبار كلما دعت الحاجة إلى ذلك

وضع الشيخ رفاعة أفندى نموذجا للوقائع باسم « مظهر أخبار مصرية » وأقر الشورى هذا الإسم غير أن محمد على لم يجزه ، وبقيت الوقائع باسمها الفريد المعروفة به حتى الآن ، ومضى رفاعة أفندى يحرر الأصل العربى ويرتب الجريدة بصفة عامة ، يعاونه فى ذلك تلاميذه المترجمون من رجال مدرسة الألسن

وتولى حسين أفندى ناظر الوقائع بعد ذلك تصحيح الترجمة ، ومنذ عين الطهطاوى أصبح ناظر الوقائع فى المرتبة الثانية بالنسبة إلى محررها ، وقد بذل رفاعة جهده فى رعاية الصحيفة وأضاف فيها وعدلها تعديلا يليق بفهمه ويتصل بإدراكه ، واستعان فى ذلك بفئة من المحررين كان من أهمهم أحمـــد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين تلميذ أستاذه العطار

وكان لمكانة رفاعة الطهطاوى أثر كبير فى تقدير الصحيفة واعتبارها واحترام لغة البلاد فيها ، فإن مكان اللغة قد تبدل فأصبحت اللغة العربية فى الناحية اليمنى تتصدر الجريدة فى صفحاتها الأربع وأخذت التركية مكان اليسار ، ومضت مبوبة تبويباً طيبا يسبق فيه الأهم المهم ، على أن التطور الخطير حقا الذى فرضه وجود الطهطاوى على رأسها ليس فى شكلها وتبويبها وإنما فى موضوعاتها التى انتقلت فجأة من توافه الأخبار والحوادث والافتتاحيات الثقيلة المحشوة مديحا وثناء للوالى بمبرر وبغير مبرر

إلى موضوعات رئيسية لها خطرها لا فى الشرق وحده ، بل فى أوروبا فى ذلك الوقت ، فقد ساهمت الجريدة فى أمور السياسة الدولية ، وناقش محررها البولوتيقة الداخلية والبولوتيقة الخارجية وتحدث عن النظم الديمقراطية ، والأوتوقراطية ، وغير ذلك من شئون ما كان يمكن أن تعرفها الوقائع إلا فى رجل اختصمت فيه ثقافات الشرق والغرب

ثم وقف نشاط رفاعة الطهطاوى فى جميع النواحى وخاصة فى عهد عباس الأول ، فترك تحرير الوقائع ومدرسة الألسن ، بعث به عباس إلى الخرطوم ليشرف على مدرستها ، فبقى هناك فترة إعتلت فيها صحته إلى أن أقبل عهد سعيد فاسترده من السودان وأعاد اليه نشاطه القديم ، فأقبل عليه إقبال المحروم ، ثم توفى الأمير سعيد ، وأقبل الخديو اسماعيل فتوج الطهطاوى نشاطه فى عهده ، وبلغ فيه غاية مجده ، وكان سهمه الصحفى هنا أبعد مدى وأبقى أثراً مما كان عليه الحال فى الوقائع المصرية

أنشأ إسماعيل فيما أنشأ من صحف مجلة أدبية سماها «روضة المدارس» ، وكان الغرض من إنشاء هذه الصحيفة النهضة باللغة العربية وإحياء الأدب العربى ونشر المعارف الحديثة ، وألقيت أمورها إلى رفاعة بك رافع الطهطاوى ناظر قلم الترجمة ، وتولى ابنه على بك فهمى رفاعة رياسة تحريرها ، وكان يحرر فيها طائفة من أعلام الفن والعلم والصحافة من الأجانب والمصريين وكان شعارها بيتين من الشعر

تعلم العلم واقرأ تحز فخار النبوة
فالله قال ليحى خذ الكتاب بقوة

وكان الطهطاوى فى روضة المدارس مطلق التصرف فكانت صفحاتها تضم خير ما عرف عصر إسماعيل من أدب أو سياسة أو اجتماع ، فكانت فيها حكايات فى تاريخ الأمم وآدابها وأخلاقها كما حفلت بموضوعات فى الطب والزراعة والتجارة ، كما نشر

الطهطاوى ملاحق بها تبحث فى موضوع طويل لا تحتمله المجلة وهى محدودة الصفحات ، وفتح محررها صدره لتلاميذ المدارس المجودين لينشروا ثمرات عقولهم شعرا ونثرا ، وروضة المدارس صاحبة الفضل فى تقديم « الشاب النجيب اسماعيل افندى صبرى » لجماهير العربية ، وهو الذى غدا فيما بعد إمام النهضة الشعرية وعلما من أعلامها الكبار ، وجعل الطهطاوى صحيفته لسانا للمدرسين ومكانا لأخبارهم عظمت أوهانت ، وانتزع بذلك من « الوقائع » بابا من أظهر أبوابها ، وهو لا يقف صفحاتها على الشئون الجدية بل أدخل فى صفحاتها بعض الأحاجى ، وخص معظم أعدادها بالقصة المترجمة ، وهو لون من الأدب لم تكن تعرفه صحافة ذلك العهد ، وهو فوق ذلك باب ساعد على نهضة الترجمة أيام اسماعيل

ومن أجل ما أثر عن الطهطاوى ومدرسته الصحفية عنايته بشئون المرأة ، فكانت الروضة فى مقدمة الصحف الشرقية التى عنيت بالموضوعات والأخبار النسوية ، ولم يكن يمضى عدد

منها تقريبا دون حديث عنها أو عن نشاطها أو دون نشر خطبة أو مقال لناظرة أو معلمة ، ولم تخل المجلة من بعض البحوث التى لا تحتملها آداب العصر لحياة المرأة والرجل فى المنزل وهو نقد اجتماعى لبيوتنا اضطر الكاتب إلى تعبيرات لا تأذن بها صفة الجريدة أو الآداب العامة حتى فى أيامنا الحاضرة

وقد قضى رفاعة الطهطاوى وهو قائم بعله فى تحرير الروضة ، وهزت وفاته صحافة مصر والشرق الأدنى ، واعتبرته جميعا أستاذ الصحافة المصرية الذى خرج خيرة رجالها ، ولم يكن لعلمنا الكبير نظير فى آثاره ، فهو مربى جيل المعلمين والمترجمين والصحفيين ، وهو صاحب النهضة فى الإنشاء والترجمة ، وهو أول من فكر فى المرأة وأنشأ عنها الفصول فى الصحف والكتب ، وله مؤلفات ضخمة فى عدة علوم بعضها تأليف وبعضها ترجمة ، وقد استحق الطهطاوى أن يوضع فى مقدمة رجال الفكر فى الشرق وأن يذكر كعلم من أعلامه الصحفية القمينين بالذكر والإعجاب

أحمد فارس الشدياق

« مهداة للأستاذ أبو بكر نور الدين
الخبير المحاسب بوزارة العدل »

نشأ الشدياق فى لبنان ، من أسرة لها قدرها ومكانتها فى خدمة العلم والأدب ، ولها تاريخها فى خدمة لبنان وسياسته العامة ، وهى أسرة امتاز بعض أعضائها بالحرص على اقتناء أمهات الكتب حتى كان منهم صاحب « المكتبة الشرقية المعروفة »

ولد أحمد فارس الشدياق فى سنة ١٨٠٤ ليكون عالم أسرته وفخر عروبته وعلما فى صحافة الشرق تزهو به أمته ، وقد مضى فى مراهقته مكبا على دراسة الآداب العربية والسريانية فى لبنان ، ثم استكمل مراهقته إلى مطلع شبابه فى مصر حيث مضى يطالع صحاح الجوهرى وديوان المتنبى ، ووصل حباله برفاعة الطهطاوى بعد عودته من باريس ، فآنس أستاذ الصحافة المصرية فى هذا الشاب كفاية بهرته فضمه إلى معاونته فى تحرير الوقائع الرسمية

وكان ذلك فى أول عهده بالصحافة والصحفيين ، إذ قضى فى مدرسة
الصحافة المصرية ردحا من الزمن شغل بالإنشاء والمرانة على
التحرير ، وكان فى الوقائع متصلا بالطهطاوى اتصال التلميذ بالأستاذ
فى عمله الرسمى أو فى قراءة آداب العرب عليه

وأحس الشرق الأدنى وجود هذا الشاب وهو لم يستكمل
بعد الثلاثين من عمره فدعاه المرسون الأمريكيون إلى جزيرة
مالطة حيث كان لهم نشاط مطبعى يعوزهم رجل فنى قادر على
إنجازه ، فأقام صحفينا أربعة عشر عاما يدير مطبعتهم ويصحح
مطبوعاتهم ويعلم فى مدارسهم ، وكان شديد الصلة بهم حتى تبع
مذهبهم الدينى وكتب تاريخا لمالطة سماه « الواسطة فى معرفة
أحوال مالطة » « وكشف المخبأ عن فنون اوروبا » وكان له فى
هذه الصخرة نشاط أدبى ملحوظ سجله فى كتب مختلفة ، ثم دعاه
باى تونس الثالث عشر إلى بلاده ليشرف ويعاون على نشاط
أدبى اشتهر هذا الباى بالحرص على تأييده والتمكين له ، وهنا

فصل الشدياق بين ماضيه الديني واعتناق الإسلام

ثم انتقل المترجم إلى عاصمة السلطان ومضى يعد مستقبله العظيم ثلاث سنوات وينظم لجريدته « الجوائب » التي ظهرت في الآستانة سنة ١٨٦٠ كأعظم صحيفة عربية في ذلك الوقت، سماها معاصروه « تيمس الشرق » ثم عاونه بعضهم في إصدار صحيفة « حوادث » التركية التي زاملت الجوائب فترة من الزمن، وقد بزغ نجم الشدياق فيما أذاع من مقالات في الأدب والسياسة امتازت بأسلوبها الرائع ولفتاتها العميقة، وهيأله اتصاله الشخصي برجال الحكم النجاح في مهمته الصحفية، فكانت أخباره السياسية تنقلها صحافة الشرق والغرب على أنها تمثل اتجاه السلطان وتصور التيارات السياسية العليا في عاصمة الخلافة، وانفرد الشدياق بمقالات في الأدب كانت تنقلها صحافة الشرق الحديثة وفي مقدمتها صحيفة « وادي النيل » لأحمد أبو السعود افندي؛ وساهم الشدياق في إحياء نشاط أدبي في خلافاته اللغوية والأدبية مع

أقرانه من أقطاب العصر وفى مقدمتهم الشيخ ابراهيم اليازجى

وقد نشر الشدياق صحيفته أسبوعيا فى مطبعة السلطنة حتى استكمل أهبته وأنشأ فى سنة ١٨٧٠ مطبعة خاصة بها زودها بأحدث أنواع الفن المطبعى ، وبذلك مضت صحيفته قدما كأروع صحيفة عربية عرفها الشرق منذ ظهور الصحافة العربية فيه ، وكان ملوك العرب وأمراؤهم وعلماؤهم فى تركيا ومصر والجزائر وتونس ومراكش وزنجبار وجاوا والهند وغيرها يحتفون بها ؛ ويرون فيها صورة تطابق أمانيهم فى اتجاه الفكر ووحدة الروح والمزاج ، وكان فى مقدمة المحتفين بها العاملين على تدعيمها السلطان عبد العزيز ؛ فهى تؤيد بسياستها سياسة الخلافة العثمانية ولها عند المسلمين منزلة يرجو السلطان أن ينتزع بها الإعجاب من كافتهم داخل سلطنته وخارجها ، ورصد لها الخليفة مقابل هذا كله خمسمائة ليرة عثمانية فى كل سنة ، وهو قدر من المال يعين أية صحيفة فى ذلك الوقت ترجو لحياتها النضج والاستواء

ثم عقد أحمد فارس الشدياق ، كعلم من أعلام الصحافة وداع من كبار الدعاة ، أواصر الود مع بعض ولاة السلطان فى الشرق وفى مقدمتهم محمـــد الصادق باشا باى تونس ، واسماعيل باشا خديو مصر ، فأما باى تونس فقد ترك له الشدياق ولده سليما ليكن رئيسا لتحرير « الرائد التونسى » وهى من الصحف الشرقية الرسمية التى لها عند العرب والمسلمين مكانها المقدور ، وكان ابن الشدياق شابا ذكيا ورث عن أبيه خلال الصحفى النابه فأثبت كفاية حببته الى قراء الرائد وسجلت له تاريخا طيبا فى صحافة الشرق العربية

أما الخديو إسماعيل وعلاقة الشدياق به فلها جوانب من الود والحب كشفت عنها بعض الوثائق التاريخية حديثا ، فصلات صحفينا مع أمير مصر صورتهما جميعا صديقين ، لا يفرق بينهما مهنة أو رتبة أو جاه عريض أو خفيض بل كانت علاقة الصاحبين علاقة يزجيها اتفاق القصد وإعجاب كل بصاحبه ، أما الشدياق فى

جوائبه فكان يؤيد من غير قيود أو حدود سياسة خديو مصر ؛ ويذيع عنه وعن مصر أحسن ما يمكن أن يذاع عنهما ، وإذا كانت جريدة « الطان » وهى كبرى الجرائد الفرنسية « جريدتنا الفرنسية » كما كان يسميها نوبار باشا فكذلك كانت « الجوائب » جريدة مصرية بروحها وعطفها ، وإذا كانت جريدة الطان قد أثبت التاريخ أنها لقيت عطفا ماديا من خديو مصر ، فان الجوائب لم تشر اليها الوثائق التاريخية أنها نالت أجرا على وفائها ورعايتها لمصر وخديوها وإن لم يكن فى ذلك سوءة تقلل من شرف تاريخها أو كريم خطاها ، والشدياق فى الآستانة داعية للخديو ووسيط له عند السياسة العليا كلما ضاقت الأمور بين مصر والسلطان .

وقد كتب سليم بن أحمد فارس الى رياض باشا رداعلى طلب الباشا بضرورة توزيع الجوائب فى عواصم الشرق الأدنى قائلا « أحب أن أوضح أن جريدتنا لا توزع فى بغداد أو سوريا

فقط بل فى جميع الممتلكات العثمانية، وأنه مع هذا الجريدة الرسمية لتونس محتوية على بضع مقالات عن مصر، وانى لسعيد أن أعلن سعادتكم بأن هذه الصحيفة ستستمر فى إذاعة كل ما له صلة بمصر، وكثيرا ما كتب الشدياق الى الخديو نفسه فى أسلوب يوضح لنا العلاقة الوثيقة التى كانت بين أصحاب الجوائب وبين سموه ؛ فقد تلقى الخديو إسماعيل كتابا من الشدياق يذكر له فيه أنه بمناسبة « تنظيم جريدة الجوائب أرسل (أى سليم) الى حكومة الباى استقالته ليدير الجوائب، وليضع خدماته المتواضعة تحت أقدام سموه » ثم يعبر له عن سروره « إذا تفضل فسمح له بأن يرسل اليه أو إلى من يعينه مع كل سفينة مصرية جميع الأخبار التى من شأنها أن تهم سموه ولها شىء من الخطر إذ أنه على اتصال بأعضاء السلك السياسى وجملة من عرب بغداد وتونس وطرابلس ومراكش » وبذلك يستطيع أن يقف

الخديو على مجريات الحوادث التى تهم حكومته ، ولم يتوان الخديو فى تحقيق هذا الرجاء فعين اسماعيل صديق باشا كاتما لسره فى هذه الشئون ، ومضى الشدياق يكتب للباشا أهم أنباء السياسة العليا فى الآستانة ثم يذكر فى كتاب شخصى للخديو بأنه « إذا حدث شىء جديد فالعبد يعرضها على الأعتاب فى المرة الآتية » فالشدياق هنا كاتب الأمير وداعيه فى الآستانه ووسيطه عند الأتراك والأعراب وثقته فى الحوادث والأخبار

وقد امتحنت صداقة الأمير والكاتب امتحاناً أثبت برامتها وأيد نزاهتها ، فقد عزل إسماعيل فى سنة ١٨٧٩ ، وتنكر له خصومه وأنفض عنه أعوانه ، ولم يبق له نصير بين رجال الصحافة فى مصر أو خارج مصر ، إلا أحمد فارس الشدياق فكان رجلا نبيلا أبى أن يجارى أعداء الخديو فيما ذهبوا اليه ، إذ نشرت صحيفة « ترجمان حقيقت » التركية مقالا صورت فيه الخديو

المعزول أقبح تصوير ، وأرادت سلطات الحكومة العثمانية أن تذاع هذه المقالة البذيئة صحيفة عربية مقروءة فى أواسط المسلمين كافة فلم تجد أفضل من الجوائب مكانا لنشرها ، ولم يكن فى مقدور رجال الحكم أن يفرضوا نشر ذلك المقال لأن القوانين لم تكن تعطى الحكومة التركية هذا السلطان ، فحاولوا مع الشدياق بشتى الطرق أن يأذن بنشر هذا الطعن فى صديقه فأبى ، بل إنه كان أكثر سخاء فى وفائه مما كان يتخيله أصحاب السلطان ، فنشر مقالا رائعاً عن الخديو إسماعيل عنوانه « سفاهة الحقيقة » رداً على مقال الجريدة التركية ، وفيه تسفيه لآراء خصوم الأمير المعزول ودفاع حار عن سياسته ، ولم تحتمل الحكومة أن يبقى أحد من أصدقاء إسماعيل على مثل هذا الولاء فأصدرت أمراً بإغلاق الجوائب ستة أشهر ، استقبله الشدياق راضياً فأجاز بذلك امتحانا وضعه فى أكرم مكان من رجال الرأى الذين يعيشون لفكرتهم وحدها

وقد مضى الشدياق وفياً لبيت محمد على ، وإن قلت عنايته بالسياسة المصرية بعد عزل إسماعيل ، غير أنه وقف إلى جانب الخديو توفيق يوم اشتدت محنة مصر أثناء الثورة العرابية ، وكان من خصومها المعروفين ، فنشر المقالات ضد الثورة وأذاع منشور الباب العالى ضد العرابيين ، ثم انتقل بصحيفته إلى مصر وتولى ابنه سليم شئونها جميعا بعد أن أثقلت الشيخوخة كاهل أبيه ، وبقى احمد يتنقل بين مصر والآستانة حتى نزل به القضاء فى سنة ١٨٨٧ ونقل جثمانه الى لبنان ، وأبنته الصحف فى العالم كله ، وقالت عنه جريدة الوطن المصرية إن « الجرائد العربية بهديه اهتدت وبمثاله اقتدت » ثم تقول « فكان كالبحر الزاخر الذى لا أول له ولا آخر ، بل كان آية من آيات الله الكبرى فى نثره ونظمه وتآليفه وتصانيفه » وذكرت « الإجبشين جازيت » أنه نال أعظم شهرة فى حسن التعبير والتحرير وبلاغة الإنشاء ،

وفصاحة العبارة حتى أحرزت الصحيفة بذلك ـ يقصد الجوائب ـ أهمية ما نالتها قط جريدة عربية لا قبلها ولا بعدها».

وللشدياق بجانب نشاطه الصحفي والأدبي الخاص فضل لا ينكر في إحياء النهضة العربية عن طريق مطبعة الجوائب التي أخرجت مئات المؤلفات له ولغيره من رجال لبنان وقادة الرأي في ذلك الزمان.

بطرس البستانى

« مهداة للدكتور محمود الشاهد
الطبيب بالجيش المصرى »

من أسرة لبنانية لها على الزمن فضل مأثور ، تلقى مبادىء العربية والسريانية على أحد أبناء أسرته هو ميخائيل البستانى، وأحس مطران صور وصيدا أن هناك فتى تفرد بالذكاء وامتاز بالفطنة والاجتهاد فدعا اليه بطرس وبعث به إلى مدرسة عين ورقة بلبنان، فأمضى فيها عشر سنوات درس فيها اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وجود فى اللغات السريانية واللاتينية والايطالية ، وتلقى بجانب هذه الدراسات الأدبية الفلسفة واللاهوت وبعض مبادىء القانون ، وكاد المترجم يقف حياته على دراسه اللاهوت ويمضى فى روما عدة سنوات لولا معارضة أسرته فعين فى مدرسته أستاذاً ، ودرس لحسابه اللغة الانجليزية واعتمد عليه الانجليز مترجما لهم يوم نزلت جيوشهم الشام لحرب

ابراهيم باشا ومكافحة محمد على فى تلك الربوع ، وانتهت هذه الفترة من حياته باتصاله بالأمريكان الناشرين لمذهبهم فمضى يعلمهم اللغة العربية ويترجم بعض كتبهم وتوثقت علاقاته بهم وآمن باتجاههم الدينى فدخل فى مذهبهم وعمل على نصرته

وفى سنة ١٨٤٧ شارك أستاذه الدكتور فان ديك فى إنشاء مدرسة عمل فيها أستاذاً ، ثم مضى خلال عامى تدريسه يؤلف كتابا ضخما فى الحساب كان له قدره فى مدارس سورية ولبنان ، ثم نزل البستانى مدينة بيروت موظفا فى قنصلية أمريكا ، غير أنه وقف معظم وقته على الترجمة والوعظ وتمكن هنا من اللغتين العبرية واليونانية ، فاستعان به بعضهم فى ترجمة التوراة الى العربية

وفى سنة ١٨٦٣ أسس فى بيروت مدرسة عالية أطلق عليها أسم « المدرسة الوطنية » قاصداً من إنشاء هذه المدرسة أن تكون مكانا للحرية الدينية ، ويدعو فيها الى الجامعة الوطنية العثمانية ،

وكانت المدرسة الوطنية فى ذلك الوقت تحيا حياة الجامعات الأوروبية فعرف فضلها الكثيرون ، وأقبل عليها الطلبة من كل صقع وبلد فكانت تستقبل فيها الشآميين سواء كالمصريين والأتراك واليونانيين والعراقيين ، وكانت حرية العلم والفكر تسيطر على اتجاهها حتى أشار أحرار الأتراك على السلطان بأن يكرم صاحبها بنشان ، وساهم سليم بن بطرس البستانى فى إدارة المدرسة وتولى تدريس التاريخ والطبيعة واللغة الانجليزية التى كان يجيد آدابها كواحد من خيرة أبنائها ، وتولى والده فيها تدريس اللاهوت والدين بالخطب والمواعظ مرتين فى الأسبوع

ثم عكف المترجم على عمل أدبى رائع وفرغ منه سنة ١٨٦٩ وهو تأليف معجمه محيط المحيط ، وقد رتبه على حروف المعجم ، وجمع فيه كثيرا من الألفاظ العامية وصحتها بالفصحى وبين أصول كثير من الألفاظ الأعجمية ، ونشر فيه بعض الاصطلاحات التى تأثرت بالعلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الأجنبية ، كما بسط

عبارته وسهلها فجاء كتابا ضخما يعين العامة ويرضى عنه الخاصة من العلماء والمتأدبين، ثم نشر له نسخة مختصرة لطلاب العلم وتلاميذه فى المدارس المختلفة، ولقى على هذا العمل الأدبى تكريم المسئولين فى الدولة العثمانية ونال من برها الأدبى والمادى الشىء الكثير

وملك بطرس البستانى كما رأينا ناصية بعض اللغات القديمة والحديثة وبرز فى اللغة العربية، ثم رأى الرجل مواطنيه قد فرغوا من حربهم الأهلية وهى حرب آذت النفوس حتى تركتها نهب الحقد والضغينة فوجد أن عليه رسالة يؤديها كمعلم فى تلاميذه فأنشأ نشرة سماها « نفير سوريا » أصدرها باللغة العربية سنة ١٨٦٠ كأول صحيفة فى الشام، وهى من صفحتين كان كاتبنا فيها معلما، إذ نشر على صفحاتها رسائل وطنية تحض على الوحدة وتعمل لها بين السكان على اختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية وأصدرها ثلاث عشرة مرة، وكانت فى أعدادها نفيرا يدعو الى

الوئام ويؤيد بين المواطنين المحبة والسلام

وفى سنة ١٨٧٠ أنشأ البستانى مجلة للعلم والأدب والسياسة سماها « الجنان » ، وألقى أمور الإدارة فيها إلى ابنه سليم ؛ ثم نشر بالاشتراك مع ابنه هذا فى نفس هذه السنة صحيفة سياسية سماها « الجنة » ، وهى معتدلة المزاج ولا تتسم بالعنف بل جارت التيارات السياسية المعاصرة وأيدت بقوة اتجاه السلطان ، وكانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ونالت من بر الخديو إسماعيل الكثير من المال ، وقد أشارت الى ذلك بعض الوثائق التى اكتشفت أخيرا بمحفوظات سراى عابدين التاريخية

ولم يقف النشاط الصحفى لبطرس البستانى عند هذا الحد ، فقد دفع نجله الى العمل فى صحيفتيه « الجنان والجنة » ، ثم أصدر صحيفة جديدة سماها « الجنينة » ، وأشترك فى تحريرها أديبا من أسرته هو ابن عمه سليمان البستانى ، وهو كاتب ومترجم من الطراز الأول

له ترجمه طيبة لإلياذة هوميروس ، وهو من الشخصيات الممتازة التى استحقت عضوية « مجلس الأعيان » فيما بعد ، وصحيفته هذه تعتبر أهم عمل له فى نشاطه الصحفى ، فهى جريدة للتجارة والسياسة من صفحتين فى قطع متوسط ، صدرت سنة ١٨٧١

وقد تولى تحرير الجنينة الثلاثة الأساطين فى أسرة البستانى ، بطرس وسليم وسليمان ، وكانت « الجنينة » أول محاولة صحفية لنشر صحيفة عربية يومية ، فكانت تصدر معظم أيام الأسبوع ، وهى صحيفة شرقية تعنى بالبرقيات السياسية ، فكانت تنشرها فى الصفحة الأولى ، ولم يعتد الشرق العربى حتى صدور الجنينة أى عناية بالأخبار البرقية ، كما فتحت صدرها لمراسلات الأقاليم وأخبار البلاد العربية ، وهى عناية جديدة فى صحافة الشام بهذه الناحية من التحرير « والجنينة » أول صحيفة فى الشرق الأدنى تعنى بشئون التجارة وبقيت وحدها فى هذا الشرق تبدى هذا العلم بشئون المال حتى نشر أديب اسحق صحيفته « التجارة » فى القاهرة

سنة ١٨٧٩ ؛ وكان القسم التجارى فى الجنينة مطولا ومتقنا ويشمل أسعار التجارة وأخبار القراطيس وبعض التعليقات التى لا تخلو من العلم والمعرفة بهذه النواحى من حياة الأمم والشعوب

وقد مضت حياة بطرس البستانى نهبا للصحافة والأدب ، وعاش ما عاش موزعا جهده بينهما لا يكل ولا يمل ولا يمضى عام لا يكون له فيه أثر أدبى أو صحفى ، فهو يخرج من الصحافة ليقوم بعمل أدبى ينافس تاريخه الصحفى ؛ فقد وجد فى أخريات أيامه بابا للنشاط العلمى فدخل فيه بكلياته ، وعول على تأليف قاموس شامل لسائر العلوم على اختلاف موضوعاتها وتباين أزمانها ، وبدأ هذا النشاط فى عام ١٨٧٥ ، وهو النشاط المأثور عنه فى كتابه « دائرة المعارف » وهو أول محاولة من هذا اللون الأدبى فى اللغة العربية فيما نعلم ، وقد أتم ستة مجلدات منه ثم عالجته المنية سنة ١٨٨٣ فقام على إتمام هذا الإرث الرفيع أبناؤه وأقاربه ونشروا المجلدات تباعا فى بيروت ثم فى مصر

ويمتاز بطرس البستانى فى حياته أنه استطاع أن يتمم رسالته فى جميع النواحى التى ساهم فيها مساهمة الأصيل ؛ فهو يبدأ وظيفته كمعلم فى زمن كانت مهنة المعلم فى الشام شاقة ، ويبدأ فى تأليف آثاره الأدبية والحياة الأدبية راكدة تكلف من المال والجهد ما تنوء به الجماعات ، وينشط الى الصحافة ويجود فيها فى جو لا يؤمن كثيرا برسالتها ؛ ويستطيع مع ذلك كله أن ينال شأو المعلم العظيم والأديب الأريب والصحفى المطبوع ، ويحتل بذلك فى عالم الأدب والصحافة مكانه المقدور بين جلة الأدباء والصحفيين

يعقوب بن صنوع

« مهداة للأستاذ عبد القادر السماحى
أستاذ اللغة الفرنسية بالكلية الحربية »

هو كاتب من طراز آخر غير ما عرف به عصر إسماعيل ، ناقد مر النقد ، قاس فى أسلوبه وفى حواره ، يطلق قلمه دون تقييد أو تحديد ، عرفه عصره كله بجميع طبقاته من القصور إلى أعماق الريف ، ولم تشهد الصحافة المصرية قلما حمل على خصومه بمثل ما حمل يعقوب بن رافائيل صنوع (أى المتواضع) وهو مصرى إسرائيلى ولد فى سنة ١٨٣٩ ، أتقن التوراة وقرأ الإنجيل والقرآن ، وتعلم فى ايطاليا على نفقة أحمد باشا يكن سبط محمد على الكبير ، ثم عاد الى مصر وأخذ يدرس اللغات والموسيقى والرسم لأفراد الأسرة الخديوية وأبناء الباشوات ، ويمتاز شكلا بهذه « العوينات » الزرقاء التى لا تفارقه فى مصر أو فى منفاه ، وصحبته منذ بدأ عمله فى التمثيل ثم مضت معه حين انتقل الى الصحافة

وبقيت تلازمه حتى وافاه أجله فى القرن العشرين

وفى سنة ١٨٧٠ أنشأ صنوع أول مسرح عربى فى القاهرة، وأعجب به الخديو إسماعيل إعجابا شديدا وأطلق عليه لقبا رفيعا إذ سماه «موليير مصر»، ومنحه المنح وأمده بالعون وحضر رواياته تشجيعا منه وتزكية له، وقد ألف المترجم نحو اثنتين وثلاثين قطعة تمثيلية فى موضاعات جدية وهزلية، وكان صنوع المؤلف والملقن والممثل الأول، ثم اتصل بجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فكان يدرس اللغة الفرنسية لهما، وكان جمال الدين فى ذلك الوقت يقود الحركة الفكرية فى مصر ويرى أن نجاح هذه الحركة يقتضى صحافة حرة، وأصغى اليه صنوع فأسس جريدة عربية هزلية يشاركه فى تحريرها كثير من المتبرمين الساخطين، واتخذ لها اسم نظاراته الزرقاء، وهكذا صدر العدد الأول منها سنة ١٨٧٧

وتعد جريدة يعقوب أول جريدة من نوعها لا فى مصر

وحدها بل فى بلاد الشرق جميعا ، فهى فى أسلوب دارج على ما تجرى به ألسنة المواطنين وحكمهم وأقوال شيوخهم ، وهى صحيفة مصورة تصويرا هزليا بديعا ، وكان الأمل فى رواجها واسعا لولا أن حملته على بطانة الخديو أغضبته فأغلق جريدته وعالج أمر بقائه فى مصر واستطاع بعد جهد أن يستأذن ايطاليا (وكان صنوع محتميا بها) فى نفيه من البلاد ، فسافر الرجل الى باريس حيث أصدر جريدته بأسماء مختلفة ، وقد احتال بذلك على إدخالها مصر إذ كانت الحكومة تصادرها وتسىء لمن يشتريها أو يحوز عددا من أعدادها ، وكانت صحيفته تصدر فى أول الأمر باللغة العربية ثم باللغة العربية والفرنسية وقد أصدرها فيما بعد فى ثمانى لغات ، وكانت جرائده مزدحمة بالمقالات السياسية والفصول الفكاهية اللاذعة والقصائد الشعرية الرائعة ، وكان بجانب عمله الصحفى الخاص ينشر المقالات التى تفيض وطنية وحماسة فى جرائد الطان والماتان والفيجارو ، وكانت تواتيه القدرة على الكتابة لمعرفته التامة باللغة الفرنسية ، التى كان يدرسها لمن يريد

من الشرقيين كما كان يدرس العربية لمن يريد من الفرنسيين

ويمتاز صنوع فى عمله الصحفى كما امتاز فى عمله المسرحى ، فهو هنا الكاتب والمدير ومصور الجريدة وطابعها ، وكان لصحيفته أثر عميق فى بلاد الشرق وكانت تقرأ فيها عددا عددا ، لذلك خطبت وده بعض الحكومات الشرقية و أمدته بالعون ومنحه السلطان والأمراء الأوسمة والنياشين

ولا يختلف أحد فى الجديد الذى خلقه صنوع فى الصحافة الشرقية ، ويمتاز صحفينا أيضا بأنه لم يكن خاليا من العلم بل كان رجلا مثقفا بعيد الغور « شاعرا صادق الشاعرية » كما يقول مؤرخوه ، كثير الرحلة من أجل التثقف والملاحظة ، وكان خطيبا لا يشق له غبار ومحاضرا ساحرا ، وله محاضرات هزت الرأى العام الأوروبى عن شئون مصر والسودان

وقد بلغت صحف أبى نظارة فى باريس اثنتى عشر جريدة ، ولكل منها خطة وهدف ، ولكن سياستها العامة واحدة

فصحيفته النظارات المصرية « جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية » وجريدته أبو صفارة جريدة « هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية » أما صحيفته الحاوى فهى « الحاوى الكاوى اللى يطلع من البحر الداوى عجايب النكت للكسلان والغاوى ويرمى الغشاش فى الجب الهاوى » وهكذا مضت صحفه تحمل هذه العناوين الطريفة ، وهى متصلة الذوق والمعنى ، متجانسة الروح والمبنى ، يغلب عليها الأسلوب العامى وإن حفلت بعض صفحاتها بالمقالات الأدبية الرائعة

وأبو نظارة كاتب لا تخلو كتابته فى النواحى الاجتماعية من عمق وفهم لحياة بنى وطنه فهو يعجب لأمة إذا وقع بها الظلم قالت « حكم يا سيدى المكتوب على الجبين تراه العيون » أمة يظلمها الظالم حتى إذا كادت تموت جوعا كان احتجاجها « لك الحمد يارب دى إرادتك » وهكذا يستمر فى نقده اللاذع الصادق وتصويره

الرائع لنفوسنا واستعدادها وآمالها فى الحياة ، ناقدا تلك الألفاظ التى لا نزال نسمعها الى الآن ، ألفاظ التواكل والضعف والاطمئنان حيث لا ينبغى الاطمئنان

ومن أطرف المحاورات التى حملتها صحفه نقده لهيئة كبيرة وتصويره لإحدى جلساتها بقوله « جلسة سرية فى جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على ذقون العالم » وفيها يعرض للسياسة العليا ورجالها ، وأهم ما دار فى جمعية الطراطير تعليقه على موقف ايطاليا من مصر ، هذه الأمة المتواضعة على حد تعبيره التى لم تبلغ وحدتها إلا بشق النفس ، حتى « ملك ايطاليا أبن امبارح اللى لسه ماطلعش من قشرة البيضة قال إذا ما راضيناش رعايته يطبق الدنيا على دماغنا » !!

هذا بعض ما ذكرته صحف أبى نظارة ، وهى كما رأينا فى أسلوبه العامى الذى يقرأه العام والخاص ، وهذا الأسلوب العامى هو أساسى فى تاريخ جرائده جميعا ، بيد أن بعض كتاباته لاتخلو

من اللغة العربية الفصيحة ، فى أسلوب مسجوع لكنه غير ممل على أهل ذلك الزمن ، وخاصة العامة منهم الذين قد لا يفهمون منه شيئا غير أنه يرن فى آذانهم فيشنفها ويملؤهم رضى وأمنا ، وهو أسلوب لا يخلو من صور بديعة وتشبيهات رائعة ، فقد دفع حنان الكاتب لبلاده أن يتخيل سفينة نقلته الى الاسكندرية « تلك السفينة النارية تريد السفر الى الاسكندرية فطلبتها أى طلب ، وحملتها أثقال التعب ، فلم تلبث أن هجمت على ظهر البحر فكسرته بصدرها ، وغنمت من درر زبده قلائد فعلقتها بنحرها ، ولم تزل تكسر موجه الجرار ، وترينا العجب بفتح حصون لججه بالنار »

وكان بجانب هذه المقالات العامية أو الأدبية بعض فصول روائية ينقد فيها السياسة العامة فى عهده ، وكانت معظم هذه المحاورات من ثلاث فصول كالمحاورة التى جرت بين « الواد المرق ووزيره المشخلع » وكالمحاورة الممتعة التى دارت بين « زمزم المسكينة » وحضرة « ديوس أغا قواص تحصيلات الفردة » وهى

تصور مدى الظلم فى تحصيل الضرائب ، وكانت صحفه هذه بمقالاتها العنيفة وصورها الكاريكاتورية الرائعة توزع فى جميع بلاد الشرق ، ووزعت فى مهاجر الأمريكتين فى أواخر القرن الماضى ومطلع القرن العشرين ، ونشرت لهؤلاء المهاجرين اللبنانيين بعض الرسائل الطريفة فى شتى العلوم والفنون

وقد عاون الأفغانى وتلاميذه يعقوب بن صنوع من قريب فى مصر قبيل نفيه وعاونوه فى تحرير صحيفته على بعد المزار فى باريس ، فاذا التقى الأفغانى ومحمد عبده بعد الاحتلال بصاحبهما القديم فى عاصمة الفرنسيين ، بدأ بينهما لون من التعاون الصحفى فى تحرير صحيفة يعقوب الهزلية وصحيفتهما العروة الوثقى ، ثم انفصم الود بين الطرفين ، ومضى يعقوب مستقل الرأى ممعنا فى حملته المقذعة على خديو مصر ورياض باشا وأحمد فارس الشدياق صديق الخديو اسماعيل ومحرر جوائب الآستانة

وقد أصدر يعقوب الى جانب صحفه الهازلة صحيفة جادة فى

لندن سماها « مرآة الأحوال » وهى رجع الصدى لما فى صحيفته الباريسية من الحدة والعنف غير أن موضوعاتها أكثر اتزانا من حيث الدراسة العلمية للمسائل السياسية ، ومن حيث الأسلوب العربى الفصيح ، ومن حيث عمق البحوث المتباينة ، وأكبر الظن أن هذه الصحيفة كانت مجالا لاصدقائه فى مصر المتبرمين من الخديو وشيعته ، ولم تعمر الصحيفة طويلا إذ وقف نشاطه على صحيفته الهزلية فكانت عليه أجدى وهو لها جدير

هذه خلاصة لتاريخ علم من أعلام الصحافة العربية ، وهى تصور جهادا وكفاحا قلبلى النظير ، يصور لنا أول أسلوب صحفى عرفه الشرق ، وإليه يرجع الفضل فى وجود الصحف الهزلية والتصوير الكاريكاتورى الذى عرفه الشرق الأدنى بعد أربعين عاما من بداية الرجل فى عمله الصحفى ، وتكاد تكون صحفه سلسلة متصلة الحلقات ، لم تؤثر فى قارئها كثرة الأعداد الضائعة منها ، بل إن طابعها وروحها متصلان فى كل عدد بل فى كل سطر من سطورها

الشيخ محمـــد عبده

« مهداة للأستاذ فريد زعلوك
المحامى وعضو مجلس النواب »

لم يكن الشيخ محمد عبده إماما فى مسائل القضاء والدين ، بل كان إماما فى كل شىء، وإذا كان شيخنا إماما فى الأزهر أو فى مجلس شورى القوانين أو فى الإفتاء ، فهو أيضا إمام له قدره وخطره فى الصحافة ، يؤثر عن نشاطه فى أول الأمر أنه كان من أحب الناس إلى جمال الدين الأفغانى وأنه كان تلميذه الأثير عنـده إذا حاضر أو ناقش ، وأن شيخنا كتب أول ما كتب ملخصا محاضرات أستاذه فى الصحف إذ ذاك ، وقد عرفه قراء الصحف فى هذه الناحية من النشاط عن طريق جريدة « مصر » سنة ١٨٧٩ وقد سبق أن كتب فى جريدة « الأهـــرام » فى صدر حياتها سنة ١٨٧٦ مقالات طيبة كصحفى مبتدىء وهاو من هواة الكتابة والتحرير ، ولكنه سجاع كثير الألفاظ العربية الضخمة وإن

كانت معانيه جديدة كل الجدة ، فان أزهريا فى عصره ليكون غريبا منه أن تصدر عنه آراء فى مصر الفرعونية ، فيها تمجيد لها ودعوة صريحة الى الاتصال بها ووصلها بتاريخنا الحديث

وقرابة ذلك العهد أهله اتصاله بالصحف إلى وظيفة المحرر الثالث فى جريدة « الوقائع المصرية » فلم يكن له فيها شىء يذكر غير أنه عكف على وضع تقرير ضاف لإصلاح الجريدة ؛ وقد اهتم رياض باشا لهذا التقرير اهتماما خاصا ، فأمر بتعيين لجنة من مدير المطبوعات ووكيل الداخلية وصاحب التقرير لوضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية ، فوضعت هذه اللائحة وأمضاها الوزير ، ثم كافأه على تقريره الضخم بأن عينه رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية ومشرفا على المطبوعات ، فاختار معه من نخبة المحررين الذين تستميل الناس أقلامهم لأنه يعتبر هذا الإصلاح الخاص بالوقائع حادثا يتصل بتقدم الشعب ونضجه ، وأن اللائحة التى وضعها « أودعها أحكاما غريبة

فى بابها يعجب بها الناظر فيها ، خصوصا إذا كان من أبناء الشعوب المتمدنة أو من المقلدين للمتمدينين »

وقد ألزم الشيخ محمد عبده إدارات الحكومة ونظاراتها بنشر أخبارها وحوادثها فى الجريدة الرسمية ، وقد اقتضى ذلك أن « اضطر الجاهلون باللغة والتحرير الى استدعاء المعلمين أو المبادرة الى المدارس الليلية ليتعلموا كيفية التحرير ، وعم ذلك المديريات كما عم النظارات ، وذلك هو تاريخ إصلاح التحرير فى مصالح الحكومة » ثم استغل شيخنا مكانه فى إدارة المطبوعات فلفت نظر الصحف الى تحريرها وتحسين أسلوبها وإلا أنذرت ، ولبت الصحف دعوته شأنها شأن الدواوين فانصلح تحريرها وتطورت أساليبها وتهذبت ألفاظها ، وتمت فى البلاد نهضة أدبية ، وشهدت أقلاما جديدة ، وتسابق الأدباء إلى التحرير كما تسابق الموطنون إلى القراءة وتعارف الكاتب بالقارىء على البعد ، وخلق فى الفئة المتعلمة رأى عام وتيارات فكرية لم تكن معهودة من قبل ،

وكان هذا الموقف الحر الصريح الذى تمتعت به الوقائع فى عهد الأستاذ الإمام من شأنه أن يشجع كل امرىء على أن يسير فى طريق الكمال والمنافسة فى العمل الصالح ، ولم يبق عامل أو رئيس مصلحة أو ناظر إلا رغب أشد الرغبة فى أن تظهر محاسن أعماله فى صفحات الجريدة الرسمية ، ويخشى أن تكون له سوءة فتبدو وتسجلها الجريدة بنشة من نفثاتها

وفى الحق إن الوقائع الرسمية لعبت دورا خطيرا فى الحياة المصرية فى عهد محمد عبده إذ بادر صحفينا الى توسيع ميدان نفوذها فكان ينقد ما كان يراه قمينا بالنقد فيما يقدم إليه من تقارير المصالح وأحكام المحاكم ، ولم يكن نقده مقصورا على الشكل بل كان يتناول أعمال المصالح المختلفة وقراراتها ، وقد خلق هذا النشر والنقد فى الموظفين اهتماما صادقا فأدى ذلك كله الى إصلاح أعمال الحكومة ومصالحها شيئا فشيئا ، ولم يكن نشاطها أمرا

محصورا فى الرقابة أو نشر الأخبار فحسب بل إنها مدت أنفها الى كل شىء ، وكانت قاسية فى بعض ملاحظاتها ، عنيفة فى آرائها فقد دعت الى إصلاح التعليم وانتقدت نظمه ، وصورت ما فيها من عجز وقصور ، وحملت على نظارة المعارف حملة شعواء أقضت مضاجعها حتى استاء ناظر المعارف استياء شديدا واعتبر ذلك افتئاتا على حقوقه ، ولكنها مضت فى حملتها حتى أقرت الحكومة وجهة نظر الكاتب ، وشكلت المجلس الأعلى للتعليم فى ٣١ مارس سنة ١٨٨١ ، وحد من سلطان الوزير ؛ وأصبح منفذا فحسب ، بل ان الحكومة كانت أكثر سخاء مما قدرت الجريدة ومحررها فاختارت الشيخ محمد عبده بين أعضاء المجلس

وقد ضم الأستاذ الإمام اليه نخبة من تلامذته ومريديه ليعاونوه على إصدارها وتحقيق أغراضه فيها ؛ ومن تلامذته المعروفين الشيخ عبد الكريم سلمان الذى كان من أحب الشبان الى الأفغانى ومن أخلصهم للشيخ محمد عبده ، فقد لازمه صديقا

وتلميذا وورث سلمان أستاذه وصديقه فى رئاسة التحرير حين تم
الاحتلال، ومن تلامذته فى الوقائع المحببين اليه الشيخ سعد زغلول
الذى أضحى فى القرن العشرين قائدا لحركة الوطنية فى مصر، وكانت
صلته بالأستاذ الإمام من أقوى الصلات التى تقوم بين التلميذ
وأستاذه، وقد استفاد سعد من هذه الصلات علما وعملا فشب
كاتبا وأديبا وسياسيا فيما بعد وقد تمرن على الكتابة فى المسائل
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واطلع لصلته بالوقائع ومحررها
على شئون الحكومة وتدرب عمليا فترة من الزمن تحت إشراف
الشيخ وملاحظته، وكذلك كان من تلامذة الشيخ محمد عبده
الشيخ ابراهيم الهلباوى صديق سعد زغلول ومن أكبر محامى
مصر فيما بعد، اختاره الشيخ لمساعدته فى تحرير الوقائع، وكان
من أقدر زملائه المحدثين فى التحرير والإنشاء، ومن أهم مايعرف
عن أصحاب هذه المدرسة أنهم جميعا، أستاذا وطلابا، كانوا أصحاب
رأى فى البلاد أثناء عملهم فى الوقائع أو بعد مجاوزتهم هذا الدور

من الحياة .

وقد اتجه الأستاذ الامام فى تحرير الوقائع الى المسائل الاجتماعية فعرض لها بالنقد والتحليل ، وكانت له فيها جولات موفقة شغلت الرأى العام ، وأنشأ قسما أدبيا مرن فيه تلاميذه وفتح صدره لمراسلين من القراء من شتى البلاد ؛ بيد أن جل مقالاته كانت نقدا لحياتنا الاجتماعية فى ذلك العهد ، وهى إن ظهرت لنا موضوعات عادية اليوم إلا أنها فى زمانها كانت شيئا جديدا مبتكرا فى تاريخ الإنشاء والتحرير فى الصحف عامة وفى الوقائع المصرية خاصة ؛ وهو فى مقالاته لم يتكلف السجع أو أو يجرى وراء حشو اللفظ الذى يعجب العصر ويرضيه ، ومصدر هذا فيما نعتقد كتاباته اليومية التى تعز لكثرتها الأسجاع ؛ لذلك كان أسلوبه هادئا فيه من البساطة والدعة ما يسهل على القارئ فهمه ، وكانت مقالاته فضلا عن هذا صورة لحياة الأمة ، فيها تحليل لا غلو فيه ولا مبالغة ، فهو فى ذلك أديب واقعى ، وقد هيأ صفحات

الجريدة للحوار والنقد ، ونقد الحاكم قبل المحكوم ، وبين مواطن الذلل ومكان الضعف دون مواربة أو مجاملة ، وهو بعد فى إدارة المطبوعات حرر الصحف من قيود الماضى وأعانها فى رسالتها الخبرية ، وهداها الى الأساليب الصحفية القمينة بكرامة المهنة والتى لاتتجاوز حدود الاعتدال

ثم تقع الثورة العرابية ويتم الاحتلال ، وينفى الشيخ الى سورية فيدعوه أستاذه وصديقه الأفغانى الى لقائه فى باريس ، وكان ذلك فى سنة ١٨٨٤ وفى باريس دار بخلدهما إصدار جريدة «العروة الوثقى» وتولى الأستاذ الإمام تحريرها ، ويحدثنا محررها أنها «ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك مافات والاحتراس من غوائل ماهو آت» ، وسياسة الشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى سياسة عالية فقد أبى إلا فى القليل النادر أن يمس شخصا من الأشخاص مهما يكن

بينهما من موجدة أو سخيمة ؛ وهو ان اضطر الى مهاجمة خصم من خصومه لا يسف إسفاف يعقوب بن صنوع بل يخاصم فى أسلوب عف ومنطق سليم ، لذلك كانت العروة الوثقى إرثا أدبيا لمصر والشرق لا ينكر فضله ، وإن ما كتبه الإمام فيها يعتبر فى ذمة التاريخ أروع ما كتب من موضوع ، وهو هنا يبلغ الذروة فى نضج تفكيره واستواء بيانه وإخلاصه فى الدفاع وصدق عاطفته وسمو معانيه ؛ كما تميز بالموضوعات الاجتماعية والسياسية الرفيعة ، وقد أثر الزمان والمكان فى الكاتب العظيم فكان إنتاجه الصحفى فيها خير ما عرف عنه من إنتاج

وكل ما كان يرجوه صحفينا فى عروته الوثقى إعادة الحكم الإسلامى والنظم الدينية إلى ما كانت عليه من الطهارة والعدل والكمال فى عصورها الأولى بتأسيس حكومة إسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة فى الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الإسلام فى أمور الدنيا ، ويتبع هذا إنقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين

من الاستعمار وذله ، ومن أهم أغراضه وأغراض جريدته إنقاذ مصر من الاحتلال والسودان من الفوضى ؛ والأستاذ الإمام لا يقصر رسالته على شئون مصر والسودان ، « فان المقصد أعلى وأرفع من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصح على لهيب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ، ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم » ويسمو الشيخ فى خصومته ؛ فالانجليز عنده أعنف خصومه ، ولكنه يرى أن صداقة الانجليز أمر لا يكرهه بل هو يدعو إليه بالرغم مما بينه وبينهم من جفوة أو عداء ، لأن الانجليز فى اعتباره « أمة طامعة بيد أنها ليست من السوء بحيث لا تجوز معها صداقة فان الإنجليز يراعون طبيعة العمران وتطور الزمان »

ثم يعود كاتبنا إلى مصر بعد أن عفا عنه الخديو ، وينزل بنشاطه المعهود إلى شتى ميادين الحياة ، ويبدى من الآراء الدينية

والتعاليم الإسلامية ما يضعه خصما لبعض صحف ذلك العصر وفى مقدمتها جريدتا « الظاهر » و« الحمارة »، وتؤثر فيه هذه الحملات المتصلة فيقف فى الجمعية العمومية مناصرا زميله أمين بك الشمسى فيما ذهب اليه من أن « أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتعديا على الأعراض » وان كان من رأيهما « أن الجرائد هى مرشد الأمة والحكومة » والمطبوعات هى ركن من أركان العمران » ثم يقوم مؤيدا رأى القائلين بسن قانون للمطبوعات يقى الناس هذه الفوضى

ويدور بخلد الأستاذ الإمام إنشاء صحيفة كبيرة يتولى أمرها ويشرف على تحريرها ويمضى فى هذا شوطا لا بأس به، غير أنه ينصرف فجأة إلى معاضدة تلميذ من تلامذته فى تحقيق هذا المشروع، ويقوم السيد محمد رشيد الرضى بتحقيق رغبة أستاذه ويصدر صحيفة « المنـــار » وهى صحيفة يذكر لنا صاحبها أن الشيخ محمد عبده فرض شخصيته عليها وقرر ألا تنتمى لحزب من

الأحزاب ، وألا ترد مهاجمة الصحف ، وأنها ينبغى أن تكون أكثر من خدمة الكبراء بل يحسن أن تستخدمهم هى ، وأن الاستاذ الإمام صاحب تسميتها ، وقد روج لها فى جميع الأوساط حتى عند الخديو نفسه ، وقد أثبت اتجاهها ، وأظهر أسلوبها وأعلنت معانيها أنها كانت بحق صحيفة الشيخ ولسانه

هذا هو سهم الأستاذ الإمام فى تاريخ الصحافة العربية ، وهو سهم لا يقل قدرا أو شرفا عن سهمه فى الوظائف الأخرى التى شغلها بعقله الراجح وذهنه المتقد ، وحسبه أن كان أستاذا ومعلما لبعض قادة الرأى فى عصره ، وأنه أحسن فى مدرسة الصحافة إلى وطنه فقدم لبلاده خيرة ساستهم وجلة محاميهم وأساطين كتابهم ومعلميهم

خليـــل سركيس

« مهداة للصاغ قائد الأسراب حسن محمود »

ولد صحفينا فى قرية من قرى لبنان سنة ١٨٤٢ ؛ ثم انتقلت أسرته إلى بيروت وهو فى الثامنة أو التاسعة من عمره ، والتحق بالمدرسة الأمريكية التى أخذ عنها العلم كثيرون من رجال التعليم فى نشأتهم الأولى ، وكان إلى جانب المدرسة مطبعة ضخمة للأمريكيين فدفعه حسه فى نشأته الأولى إلى التردد على المطبعة متطلعا ناظرا إلى هذا الفن الجديد على نفسه القريب الى طبعه ، فغلبت عنايته بالمطبعة نزعات الشباب عنده فالتحق بها ردحا من الزمن أتقن فيه هذا الفن ، ثم اتفق مع سليم البستانى فى سنة ١٨٦٨ على إنشاء شركة مطبعية سماها مطبعة « المعارف » ثم انفرد بعدئذ بمطبعة خاصة سماها « المطبعـــة الأدبية » ونال معها امتياز جريدة « لسان الحال » فى سنة ١٨٧٧ وهى صحيفة للسياسة والتجارة والعلم والزراعة والصناعة ، وهنا برز صاحبنا واشتهر أمره ولقبه معاصروه

بشيخ الصحفيين إذ كان فيها معتدل المزاج ، مواتيا لجميع العناصر المختلفة والمذاهب المتباينة ، لم يغلب مذهبا سياسيا أو عقيدة دينية فى رسالته الصحفية ، وهى صحيفة نصف أسبوعية ، أخذت تتعدد أيام ظهورها فى الأسبوع حتى بلغت مراتب الصحف اليومية الممتازة فى سنة ١٨٩٥ ، واحتفظ صاحبها بعدد أسبوعى يصدر منها فيه خلاصة لنواحى النشاط الأسبوعى ، وللسان الحال فضل لا ينكر على آداب اللغة العربية ومرادفاتها ، فقد استعمل خليل سركيس وأنصاره فى تحريرها ترجمة طيبة لكثير من الكلمات الأجنبية أضافت للغة العربية ثروة لفظية لا تزال تحيا فى آدابنا وصحافتنا العربية ، كما جدد المحرر فى أساليب الإعلان ، فكانت إعلانات الصحيفة تبرز فى صيغ مواتيه مزينة بالرسوم ، ومضت صحيفته قدما لا يقفها اضطهاد أو يحول دون نشاطها حادث من الحوادث أو نكبة من نكبات الزمان

ثم اضطهدت حكومة السلطان صحيفة سركيس سنة ١٨٧٨

ووقفت صدورها أربعة شهور ، فلم يحل ذلك الاضطهاد دون نشاطه فأصدر مجلة شهرية سياسية علمية صناعية تاريخية فكاهية سماها « المشكاة » في ست عشرة صفحة ، وهي في الواقع صحيفة للأخبار والنبذ السياسية وليس فيها روح الفكاهة التي زعمتها أعدادها الأربعة ، ولم تعمر المشكاة طويلا لأن لسان الحال عادت إلى نشاطها فانتفى وجودها بجانب أختها الأصيلة

وخليل سركيس هذا ليس علما من أعلام الصحافة العربية فحسب ، فهو بجانب نشاطه الصحفي في التحرير الجيد والخبر المفيد والرواية الحسنة والأسلوب الفصيح والعبارة المنتقاة ، رجل تشوفت نفسه الى الطباعة واستهوت معظم نشاطه منذ كان صبيا ، لذلك كانت صحفه تطبع في مطابعه الخاصة ، وهي مطابع تجارية وهي فيما نعلم من أولى المطابع الحرة التي أديرت بالبخار في الشرق الأدنى كله ، ومطابعه لا تقوم بطبع الصحف فقط بل تخصص بعضها لطبع المؤلفات العلمية ، وبعضها للشئون العامة التي تتصل

بحياة التجارة وما إليها ، ثم هو من أوائل الشرقيين الذين أنشأوا المسابك لصب الحروف ، واستعملها غيره من رجال العروبة فى الشآم وغيرها من البلاد ، ويؤثر عنه أنه أدخل فى صناعة الحروف العربية صنوفا مختلفة بعضها دق حتى عز مثاله وبعضها كبر حتى استعمل فى كثير من نواحى النشاط المطبعى ، وبذلك نقل المطابع العربية فى الشام من أن تكون أسيرة الحرف الأمريكى وحده

ولم يشهد تاريخ الصحافة العربية صحفيا نكب فى فنه كما نكب سركيس ، فقد احترقت مطابعه فى سنة ١٨٩٥ كما احترقت مطابع الأهرام فى سنة ١٨٨٢ ، غير أن الأهرام عوضت فيما عوض من خسائر الثورة ، لكن سركيس لم تقعده مصيبته فى مورد رزقه ومهبط وحيه وفنه وغاية نشاطه وجده عن معاودة العمل ونشر « لسان الحال » ، مفتتحا ذلك بمقال عن احتراق مؤسسته وهو من خير ما كتب فى هذا الباب ، وقد انتزع هذا المقال إعجاب المتأدبين إذ كان كاتبه فيه أديبا مطبوعا استحق ثناء أصدقاء

« اللسان » من قريب أو بعيد

وخليل سركيس هذا صحفي متصل الفضل موفور النشاط فهو لا يقصر نشاطه على شئون الطبع والصحافة فيز فيهما كأى تاجر ورق واتاه الحظ وأسعفته الظروف ، بل يقف الرجل جزءاً كبيرا من حياته ونشاطه على الأعمال التى تفيد أمته ومواطنيه ؛ فيرى فيه الأكفاء ندا لهم يستحق انتخابه عضوا فى مجلس معارف ولايته ورئيسا للجمعية الخيرية الإنجيلية وعضوا فى مكتب الصنائع ، ثم يجد سركيس بعامل الشفقة والرحمة أن بعضا من مواطنيه يقتلهم داء الصدر ولا يرحمهم عطف ولا غذاء ولا طب فيدعو القادرين من اللبنانيين إلى تأسيس جمعية ترعى مرضى السل ويتم له ما أراد ويسعف هؤلاء المساكين ، ويسجل صحفينا فى تاريخه هذا الفضل ، وهو فضل يذكر لصحافة لبنان لأن رجلا من رجالها وظف جاهه وصحيفته لإنقاذ فئة استبد بها الفقر والحرمان

وخليل سركيس تختصم من أجله مهنتان رفيعتان ، فالصحافة تدعيه إلى نفسها وتسعد باعتباره واحدا من رجالها ، والأدب يأبى أن يكون اسمه محسوبا على غيره ، فقد أيد نشاطه المطبعى صدور حوالى ألف مجلد من صنوف الثقافات الأدبية والعلمية والدينية والزراعية والصناعية ، ونشر من هذه الكتب ما يتجاوز مليونا ونصف مليون نسخة ، ثم هو يقوم بنفسه على تنقيح كتابى « عنترة » و « ألف ليلة وليلة » وطبعهما فى مطبعته وليس فى هذا فضل كثير إذا كان القصد التنقيح أو التبويب وإنما هو يقصد من استعمال ذوقه وفنه فى هذه الأصول الأدبية أن يمكن السيدات من قراءتها من غير استحياء ، وفى ذلك من الخير ما سمح لقارئات العربية بالاطلاع على نبعين فى الأدب العربى ، وحبب اليهن لونا من الفن الرفيع ، وإن كان التنقيح للأدب يقلل من رواء القطعة الفنية عند الأدباء والمفتنين ، ثم يمضى صحفينا فى نشاطه هذا فيطبع الكتب القديمة كمقدمة ابن خلدون ومقامات الحريرى ، ويقدمها لطلاب الثقافة العربية بثمن زهيد يمكن عامة

القارئين من الاستزادة بهما ، والاطلاع عليهما ، ويؤلف كتاب « سلاسل القراءة » فى ستة أجزاء ، وهو كتاب للمطالعة إذا صح الوصف والعرض ، بيد أنه كتاب حاز قبول الجيل وأنست اليه مدارس الشرق الأدنى ، بل رغب فيه كثيرون من التلاميذ والمطالعين فى المهاجر وخارج الشآم

ولا يقف نشاطه الفكرى عند اللغة وآدابها تنقيحا وتأليفا ، بل يضرب فى كثير من فنون الفكر ، فيؤلف للسيدات كتاب « أستاذ الطباخين وتذكرة الخواتين » ثم أصدر من قلمه كتابا اجتماعيا يتصل بعرف الناس وتقليدهم سماه « العادات » وقصد به شرح العادة الطيبة والمثل الحسن فى المعاملات ، ثم ألف بجانب ذلك كتبا تعنى الأطباء والمحامين والشبان والمراهقين ، ومن أهم كتبه « معجم اللسان » وهو قاموس لأسماء القواد والسفن والأماكن التى ذكرت فى أخبار الحرب اليابانية الروسية سنة ١٩٠٤ ثم كان له فضل عظيم على النشاط التجارى والاجتماعى حين أصدر

لمواطنيه الروزنامة السورية ، ولم يغفل رحلاته فدونها تباعا فى صحيفته لسان الحال

وقد أجمع معاصرو سركيس على أنه كان صحفيا دمث الخلق عف القلم واللسان ، موفور الذكاء شديد النشاط ، وأثبتت آثاره فى صحيفته وكتبه أنه كاتب مجود سهل العبارة كثير الاستعارات مع ميل إلى الفكاهة والمداعبة ، وهو ذو ذوق فى اختيار ألفاظه ومعانيه ، قادر على العمل معظم ساعات اليوم ، مثال لصاحب العمل وقدوة صالحه لمدير الصحيفة ومحررها

شاكر شقير

« مهداة للأستاذ سيد عثمان رفعت السكرتير
بالنقابة التجارية للملكة المتحدة »

من خيرة أدباء لبنان الذين عرفهم القرن التاسع عشر ؛ ولد سنة ١٨٥٠ فى الشويفات ودرس فيها المبادىء الأولية فى القراءة والكتابة ، ثم التحق بمدرسة الروم الأرثوذكس وكان يتولى إدارتها الدكتور يوسف عربيلى فأتقن هنا اللغتين العربية والفرنسية واتصل بجلة من فضلاء العلم والأدب ونال حظا من دراسة اليونانية وهى طلبة سعى اليها كثيرون من نظرائه أصحاب القلم ، ثم انتقل إلى بيروت حيث كان يقيم الشيخ نصيف اليازجى ، وهنا توثقت علاقاته باليازجى ودرس عليه فنون الشعر فكان من أبرع تلاميذه فى القريض وكانت الإشراقة فى عبارته ميزة له على أقرانه وأنداده فى هذه الناحية من البيان

وقد ضرب شاكر شقير بسهم وافر فى ألوان الثقافة المختلفة

فهو أديب له قراءات عميقة واطلاع واسع ؛ وقدعرف فى نشاطه الأول معلما ومديرا لبعض مدارس لبنان ، وله آثار طيبة فى تلاميذه الذين نشأهم أحسن تنشئة فغدوا فيما بعد من خيرة أصحاب الفكر فى الشام ، وكان بجانب أستاذيته فى المدارس عضوا ذا خطر فى الجمعية العلمية السورية ، وهو واحد من الذين ألفوا دائرة المعارف البستانية ، فقد وقف عليها نشاطه عشر سنوات متواليات وعكف فى خدمتها على مراجعة دوائر المعارف الأجنبية المختلفة ، فزاده ذلك علما بمختلف العلوم والمعارف ، وأكد فيه القدرة على تجويد بعض اللغات الأجنبية التى كان على ثقة من معرفتها من قبل

وكان شقير بجانب عمله الضخم فى دائرة المعارف يحرر الفصول الممتعة فى مجلة « الجنان » ، وذلك أول صلته بالصحافة فيما نعلم ، وقد أحسه القراء فيها أديبا مشرق العبارة مواتى الفكرة ، ولم يقصر أدبه على صحيفة واحدة فى ذلك الوقت بل وظف قلمه فى كثير من الصحف اللبنانية المعاصرة ، وكاد مواطنوه يرونه فى

صحف بلادهم جميعا ، ورأت صحيفة « ديوان الفكاهة » أن تستعين به فى ترجمة الروايات الفرنسية التى كانت تنشر على صفحاتها فى كل شهر ، وهذه الصحيفة أول مجلة من نوعها فى الشرق العربى حيث تخصصت فى معظم صفحاتها للروايات والقصص وإن ضمت أحيانا وصفا لبعض الرحلات ، وكان اختياره وترجمته لما يختار بأسلوبه الرفيع من الأسباب التى حببت المطالعين فى « ديوان الفكاهة » فكانت من أكثر الصحف انتشاراً وأدناها إلى قلوب القراء

ويعتبر شاكر شقير من الصحفيين الساخطين لأن حياته الصحفية لم تمض على سجيتها ، وهو كاتب أحسن الظن فى أساليب الحكم فى عصره ، فنشر بعض المقالات العنيفة وأساء ذلك الى المسئولين وصادف ظهور آرائه شدة من السلطنة على كل فكرة حرة ورأى غير فطير ، فنشرت إرهابها على الأقلام وحدت من حرية الفكر وعصفت بأصحاب الصحف الذين أبوا أن يمالئوها بغير حق ،

فانتقل المترجم إلى القاهرة سنة ١٨٩٥ حيث وصل حياته الصحفية بإنشاء مجلة نصف شهرية سماها « الكنانة »

لم تعمر الكنانة طويلا ، غير أن البذل من أجلها والوفاء فى إخراجها أعطانا صورة طيبة عنها ، ولو ان الزمن امتد بصاحبها لكانت من خيرة مجلات الشرق فقد ضمنها المقالات العلمية والقصص التمثيلية والحكايات التهذيبية ، وجعل فيها بابا لنقد اللغة ونشر فيها أفانين الشعر من نظمه الرائع وقد لفتت الكنانة المتأدبين هنا وهناك بالجهد المبذول فى تحريرها وإخراجها ، هذا الجهد الذى أثر فى صاحبها فاعتلت صحته ، وبلغت به العلة مبلغا لم يفده فيها هواء مصر فعاد إلى لبنان حيث وافاه الأجل المحتوم فى أكتوبر سنة ١٨٩٦

ويبدو من هذا العرض السريع لحياة صحفينا الكبير أنه كان من خيرة رجال الصحافة فى نهاية القرن التاسع عشر ، وهو من القليلين الذين كانوا أسوة ومثلا فى معرفة آداب العرب ولغتهم ،

كما كان حجة فى تاريخهم وعلومهم ، وهو ممن ملأوا حياتهم الصحفية بالنشاط الأدبى الخاص ، وتشهد آثاره بأنه مفتن فى كل فن ، مشارك فى كل علم ؛ فهو صاحب كتاب « غصن البان » فى انتقاد اللغة العربية فى القرن الماضى وله كتاب « أساليب العرب فى صناعة الإنشاء » وكتاب « منتخبات الأشعار » و « مصباح الأفكار فى نظم الأشعار » ، وبدأ المترجم فى تأليف معجم فى لغة العرب لم يمتد به الأجل لإتمامه . وقد جمع فى مؤلف بعض مقالاته الاجتماعية بعنوان « أطوار الإنسان فى أدوار الزمان » وهى مقالات مزج فيها الهزل بالجد ولم تخل من اللفتات البارعة والمعانى الرفيعة والحكم الموانية ، ثم عكف على ترجمة « آثار الأمم » للكاتب الفرنسى (فولنى) وهو ناشر ديوان أبى العلاء أكثر من مرة ، ولشقير غير هذا النشاط الأدبى كثير من الروايات التمثيلية والقصص البديع ما يجل عن الوصف والحصر ونحن نؤرخ له فى هذه العجالة الخاطفة ، غير أن من أهمها روايات « أسرار الظلام » و « الشجاعة الحقيقية » و « كنيسة الحرش »

«والصبية الخرساء»

وقد بز شاكر شقير كثيرين من أنداده المعاصرين فى قرض الشعر، بدأ هذا النشاط فى قصيدة رفعها الى خديو مصر إسماعيل فى مناسبة من المناسبات، وقد التزم فى أوائل أبياتها تاريخاً هجريا لسنة ١٢٨٧ وفى كل عجز تاريخاً مسيحيا لسنة ١٨٧٠، وهو شاعر مجود، غير أن شعره توزع فى جميع المعانى وساهم فى وصف كثير من المشاعر، وهى مشاعر تياه بعروبته مؤمن بأفضالها قال عند ما ترجم بعض الحكايات (للافونتين)

من بعد آثارنا فى المشرق اشتهرت
آثاركم فاستفدناها بلا تعب
من ذاك ما جاء لافنتين من حكم
يشف برقعها الهزلى عن أدب
إن كان أبدع فى ذا الفن شاعركم
فلا يقصر عنه الشاعر العربى

ويمتاز صحفينا الأديب الشاعر بأنه فنان تستهويه كل ناحية من نواحي الفن الجميل ، فقد شغل أوقات فراغه بدراسة الموسيقى علما وعملا حتى جود فيها وبلغ شأوا غير منكور ، وكانت حياته عبرة للصحفي الدارس العالم ؛ حتى أثر عنه أنه كان مثالا للذكاء النادر وسرعة الخاطر بنظم الشعر على مهل أو نظمه ارتجالا ، وقد جمع صفاته جميعا أخوه فارس شقير في مرثيته التي قال فيها

وضع التآليف التي خلصت ... من غلطة ندرت ومن خلل
وله رسائل كلها غرر ... يحكي ترسلها هدى الرسل
وله المقالات التي ذهبت ... في كل ناد مذهب المثل
فالشعر مثل النثر يرسله ... سهلا بديعا غير منتحل
فيصيب فيه وهو مرتجل ... وسواه يخطىء غير مرتجل
والنثر مثل الشعر يرصفه ... جملا مرصعة على جمل

يعقوب صروف

« مهداة للدكتور محمد على هدايت
المدرس بكلية الطب بجامعة فؤاد »

شخصية صحفية لا تزال تحيا فى آثارها الحية ، وستمضى فى ذمة التاريخ الصحفى علما من أعلامه ومثلا من أمثلته المواتية وأسوة من الأسوات التى كانت سباقة فى وضع أصول التحرير ومذاهب الفن الصحفى سواء اتصل ذلك بالصحافة الأدبية أو الصحافة السياسية ، ولد صحفينا فى لبنان سنة ١٨٥٢ وكان من أوائل الفرقة الأولى التى أتمت دراستها فى « المدرسة الكلية السورية » اتصل بالمرسلين الأميريكان يدرس لهم اللغة العربية وأعجب به هؤلاء المرسلون فهيأوا لأستاذيته فرصة النضج والاستواء وأنشأوا مدرسة عالية فى طرابلس الشام تولى هو إدارتها ووضع لها المناهج ، ولم يمض طويلا فى هذه المدرسة بل انتقل بعد عام أستاذا للعلوم الرياضية والفلسفية الطبيعية فى المدرسة الكلية السورية

التى نشأته أحسن تنشئة ، وهنا أشبع رغبته كعالم فى الرياضة والطبيعة ، وأنتج أمثلة عمليه كان هو صاحبها أو صنعها تلاميذه بتوجيهه وإشرافه ، ثم أردف هذا النشاط بنشاط جديد فى الكيمياء فجمع إلى أستاذية الطبيعة والرياضة أستاذية جديدة فى هذا العلم الذى أضناه وكاد يذهب ببصره ، وله فى هذه النواحى العلمية كتب تفردت بالعمق وتميزت بالقدرة واستحقت ثناء المشتغلين فى هذا الباب ، ولم يقصر المترجم نشاطه على العلوم وحدها خلال الإحدى عشرة سنة التى درس أثناءها فى المدرسة الكلية بل ترجم كثيراً من الكتب الأدبية واشترك مع زميل صباه فارس نمر فى تأليف وترجمة مجموعة من الكتب فى سير الأبطال ومشاهير العلماء

كان ذلك النشاط العلمى مقدمة لعمل صحفى أدبى له روعته إذ ذاك ولاتزال له روعته فى البيئآت العلمية والأدبية فى مصر والشرق ذلك عمله فى إنشاء « المقتطف » بمعاونة زميله فارس نمر منذ أول

يونيه سنة ١٨٧٦ وهى مجلتهما الشهرية التى احتوت على مواد تقضى كما يقول صاحباها « إمعان نظر » فإذا قرأته قراءة قصة لم تستفد منه شيئاً ، والحق ان المقتطف وخاصة فى سنتيه الأوليين يمتاز بأن موضوعاته علمية بحتة ، ويمتاز بالدقة ودقة كاتبها يعقوب صروف خاصة ، وقد وظف صروف وصاحبه جلة كتاب لبنان فى تحرير المقتطف وفى مقدمتهم الدكتور فان ديك المستشرق المعروف

وقد انتقل صاحبا المقتطف الى مصر فى العام الثالث من نشأته ، وكانت شهرتهما قد سبقتهما اليها ، وفى مصر اتسع أفق المجلة وفتحت صدرها للكتاب والمنشئين من بلاد الشرق العربى جميعا ، وملأت الحياة الأدبية بفراغ كان ملحوظا ، وسمحت للشعر أن يحتل مكانه بجانب النثر العلمى والفنى ، ومضى صروف يقضى صباحه ومساءه فى دار المقتطف يحرر معظم مقالاته ويهذب القليل النادر من غير قلمه ، ويترجم له فصولا من أمهات الصحف الأمريكية والأوروبية ، وقد أمضى يعقوب وصاحبه تاريخهما

الصحفى الأول فى إنشاء المقتطف والتمكين له إلى أن لاحت لهما فرصة العمل فى الصحافة في صورة أكثر اتساعا

اتفق صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس مدير مطبعة المقتطف على إصدار جريدة المقطم فى ١٨ ابريل ١٨٨٨ «جريدة سياسية غرضها خدمة الوطن» وذلك فى ظل «الحضرة الفخيمة الخديوية الظليل» وهم يعتمدون فى طلب الترخيص على سمعتهم الصحفية الأدبية فى تحرير المقتطف ونشره، وقد أثبت الثلاثة أنهم صحفيون قادرون حقا سواء فى التحرير أو استقاء الخبر، غير أن صحفينا يعقوب صروف لا يشارك فى هذا النشاط الصحفى اليومى مشاركة الأصيل الذى يحول المقطم دون تفوقه وتجويده فى إخراج المقتطف، فقد ذهب بروحه وعقله الى مجلته الأولى، وكاد أن يكون وحده صاحب الأمر فيها وإن ذكرت أعدادها أصحابها الثلاثة جميعا

ويعقوب صروف صاحب أسلوب امتاز به بين أقرانه

ومعاصريه ، فهو كاتب أثر العلم فى عبارته فلاهى سقيمة كعبارات العلماء الذين يتشدقون بجهلهم آداب اللغة العربية ولا هى حوشية أو غريبة مما يصعب فهمه على طلاب العلم أو الأدب الرفيع ، وهو ينحو فى كتابته نحو التدقيق فى كل كلمة والتحقيق لكل معنى ، وقد يقتضيه ذلك مراجعة الكتب المتباينة والنظر فى المعاجم حتى يبلغ موضعا يطمئن فيه إلى صحة ما كتب سواء اتصل ذلك بالموضوع أو البيان ، وقد استطاع بأسلوبه المتفرد أن يغرى قراء المقتطف بقراءته مهما تختلف أذواق المطالعين أو تدق على فهم العاديين الموضوعات التى يطالعونها ، وهو إلى جانب أسلوبه العلمى يتأثر بالموضوع الذى يكتبه فان اتصل بناحية من نواحى العاطفة رأينا بعض الأسجاع المقبولة تتخلل عباراته بل رأينا الشعر يطاوعه على تأييد فكرته ، ثم يمتاز يعقوب بأنه كان من أقدر الكتاب على التلخيص فهو يعرض عليك كتابا ضخما فى صفحات قصيرة ويلم بكل شاردة أو واردة فيه ، ويستطيع قارىء التلخيص لدقته وعمقه أن يزعم مطمئنا أنه قرأ الكتاب وألم بأطرافه جميعا ، ولصروف

فضل آخر لا يقل عن أبواب النشاط المختلفة التى بز فيها ، فهو يعنى أشد العناية بعرض نظريات وأقوال كتاب وعلماء وفلاسفة الغرب ، ويعلق عليها تعليق الخبير العارف بأصحابها وبما أنشأوا من آيات الفكر الحديث ، وقد عرف بذلك قراء العربية أن فى أوروبا آراء حديثة جديرة بالنظر والاعتبار ، وأن فى أوروبا وأمريكا رجال فكر يجب أن يعرفهم المصريون والعرب فى آثارهم الضخمة التى تضيف الى العلم جديدا ينبغى ألا يفوت أمة ناهضة تسعى إلى العلم والتثقيف

ولم يقف نشاط يعقوب صروف عند المقتطف وهو ميدانه الأول أو عند المقطم إذا غاب صاحبه فارس نمر فيساهم فيه بقسط بل شارك مشاركة الأصيل فى تحرير مجلة « اللطائف » لزميله شاهين مكاريوس ، فكتب فيها كثيرا من المقالات وعالج بعض الفصول الفكاهية ونشر نبذا من هنا وهناك دل الاختيار فيها على الذوق الجميل والذهن الصافى ، ثم تولى تهذيب ما فيها

من غير إنشائه ، حتى كانت اللطائف فى ذلك الوقت أحب المجلات المصرية إلى المصريين وأروجها عند القراء فى بلاد الشرق العربى

ويحس القارىء ليعقوب فى بعض مقالاته التى تتصل بالاجتماع أن نزعته اشتراكية بعض الشيء ، وهو الذى دعا فى أكثر من مناسبة إلى تدخل الحكومة والمسئولين ليحدوا من مطامع الأغنياء وملاك الأرض ويقفوا الجشعين وعباد الذهب ، وأن سلاح الثراء إذا أرهف أساء أصحابه استعماله كما يسيء فى كثير من الأحيان أقوياء البدن والمفوقون فى استعمال الأسلحة أبدانهم وأسلحتهم ؛ وهى التفاتة قل المتحدث فى شأنها من العرب من كتاب الأدب أو الاجتماع أو رجال العلم والسياسة فى القرن الماضى ومطلع القرن العشرين

وهناك شبه عميق بين يعقوب بن صنوع صاحب جرائد « أبو نظارة » وبين يعقوب صروف صاحب المقتطف من حيث فهم كليهما لقدر الرحلة واعتبارها وسيلة من وسائل التثقف وتقوية

الملاحظة، فزار صروف فى سنة ١٨٩٣ عواصم أوروبا جميعا ولقى فيها جلة علمائها وأدبائها واستحق منهم إعجابهم وتقديرهم فكلفه بعضهم الكتابة عن أحوال مصر ومستقبلها فنشر فى ذلك رسالة طيبة باللغة الانجليزية تليت فى إحدى المجامع العلمية الممتازة ثم عاود زيارة أوروبا ووثق علاقاته بأصحاب الفكر حتى كان كثيرون منهم يراسلونه وينقلون عنه فى مقالاتهم وكتبهم ويرون فيه حجة من الحجج التى يعتمد عليها ويؤخذ عنها

وخالف صروف معظم صحفيي عصره فهو مقل فى صياغة الشعر، ولم يؤثر عنه بيت فى مدح إنسان بل ان معالجته للقريض اختصرت فى أكثرها على الوصف، ومن قصائده قصيدة فى وصف «مشاهد أوروبا» وأخرى فى «وداع باريس» «ووداع لندن» ووصف «رأس البر» ولعله الشعر الوحيد الذى قيل مدحا فى هذا المصيف المصرى، كما كانت له بعض القصائد القليلة فى الرثاء، واتجاهه فى هذا كله يجاوب اتجاهه

فى نثره و يماثله من حيث غلبة الناحية العلمية والنظرة إلى الأمور نظرة فلسفية فيها من العمق شيء كثير

وبعد فقد عاش صروف وشغل الحياة الأدبية والعلمية فى مصر والشام وترك تراثاً لايزال يعيش فيه ؛ ويبقى فيه مابقى للصحافه والعلم والأدب مكان بين الأحياء

أبو السعود أفندى وابراهيم المويلحى

« مهداة للأستاذ محمد عبد الخالق محمود
سكرتير كلية الآداب بجامعة فؤاد »

عبد الله أبو السعود أفندى شخصية صحفية لا يجوز إغفالها إذا اتجه حديثنا إلى أعلام الصحافة فى الشرق الأدنى ، لا لأنها خلقت فى الصحافة جديدا أو بعثت فيها روحا لم تكن لها ، بل لأنها تمثل طورا من أطوار الصحافة المصرية إذا تنوسى كانت هناك ثغرة عميقة بين قديم الفن الصحفى وجديده

وأبو السعود أفندى صحفينا الأول فى صحافة مصر الحرة شاعر يصوغ القوافى وناثر يجيد البيان ، ومترجم من عيون المترجمين فى عصره لم تستغن عنه صحيفة من صحف إسماعيل الرسمية ، فكان من بين وظائفه العامة الترجمة للأجانب الناشرين فى هذه الصحف ، وأبو السعود أفندى يمثل الحلقة التى تربط بين الصحافة الرسمية والصحافة الشعبية ، إذ كان أول من أنشأ من

المصريين صحيفة شعبية غير أنها صحيفة تتفق مع مظاهر العصر وحاجاته ، فقد ظهرت جريدته « وادى النيل » سنة ١٨٦٧ عقب افتتاح مجلس شورى النواب ، وهو المجلس الدستورى الأول فى حياة مصر الحديثة ، ولم يكن لهذا المجلس أى أثر إذا قيس بالمجالس التشريعية المماثلة له فى أوروبا ، بل كان شيئا غريبا حتى على أعضائه ولكن إسماعيل نظر اليه كمظهر يتصل بأبهة الملك ويشابه من بعيد مجالس الغرب

وإذا كان المفروض أن يكون فى مصر مجلس للشورى يجتمع وينفض على هذا النحو ، فان الصحافة الرسمية لا يجوز أن تكون معبرا عن هذا المجلس الشعبى ، ومن هنا بدأ الخديو يرى وجوب إنشاء صحيفة شعبية تمثل هذا المجلس أو تساير الفكرة فى وجود هذا المجلس فأوحى إلى عبد الله أبى السعود أفندى بأن يصدر جريدته وادى النيل

وكانت الفكرة فى إنشاء هذه الصحيفة بجانب التعبير عن

النزعات الشعبية الجديدة التى تتمثل فى مجلس شورى النواب خدمة الخديو وتحقيق سياسته فى اعتدال ، وما كان يمكن أن تمثل جريدة « وادى النيل » الصحافة الشعبية فى غير هذا الحيز الضيق من الحرية ، ذلك لأن صاحبها موظف فى الحكومة له مآثر وخدمات فى الصحافة الرسمية ، وقد رحبت الوقائع المصرية أيما ترحيب بالصحيفة التى جاءت تؤنسها وتعاونها ؛ وحيتها بعض الصحف الفرنسية المعاصرة فى مدينة الاسكندرية ورددت هذا الخبر السار فى ربوع الشام صحيفة حديقة الأخبار البيروتية

ويعتبر جهد أبى السعود الصحفى محاولة لا بأس بها ، فصحيفته أول صحيفة وطنية شعبية فى مصر ، وقد زحم معظم صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته وتولى فيها مناقشة ما اعتادت نشره جريدة « الجوائب » وهى صحيفة الآستانة العربية التى ينشئها أحمد فارس الشدياق ، وكان خلافهما واتفاقهما فى المسائل الأدبية والمباحث العلمية خير ما فى صحافة الشرق الأدنى خلال تلك

الفترة من تاريخ الصحافة الشرقية ، وكانت جريدة وادى النيل من أوفر صحف الشرق عناية بالإعلان والتفنن فيه ، ولها مثال طريف نشرته بمناسبة تجديد اشتراكها قالت « المرجو ممن انتهت مدة مرتبه من صحيفة وادى النيل لغاية شهر جمادى الأولى الجارى وهو يرغب فى الاستمرار أن يبادر بما يفيد استمرار عادة ترتيبه قبل انقضاء مدة الشهر المذكور إذا لم يزل يرغب فى نسخة هذه الصحيفة تتردد عليه بالزيارة إلى حد الدار وبذلك لزم الإشعار على سبيل التذكار » ! وقد اختصت وادى النيل بمطبعة لنشرها وهى من أولى المطابع فى مصر الحديثة ، تنشر فيها بجانب وادى النيل صحف رسمية وكتب كثيرة

وكان الخديو اسماعيل شديد الرضا على وادى النيل يؤثرها بالمال ويمدها بالعون والأخبار ويعين لصاحبها الراتب جزاء جهده فى نشرها ، وصاحبها لا يقتصر على وظيفته الرسمية ولا يرض بالترجمة فى الصحافة الرسمية الأدبية والعلمية والعسكرية

وحدها ، ولا ينقطع لجريدته وادى النيل بل يوحى إلى ابنه فيما بعد بإنشاء جريدة « روضة الأخبار » ويقوم هو بتحرير الجانب السياسى والإشراف على القسم الأدبى ؛ وقد بقى عبدالله أبو السعود يغذى صحافة مصر الرسمية والشعبية بجهده المتصل وكفاحه النادر حتى قضى وكتب فى نشأة الصحافة الحرة فى الشرق الأدنى عامة ومصر خاصة تاريخا ينبغى ألا يجهل

ثم يتصل هذا النشاط الصحفى الشعبى بظهور شخصية تضطرم حماسة لمصر وتتطلع فى ثقة إلى مثل القرن التاسع عشر ، تلك شخصية إبراهيم المويلحى الأديب الكاتب فى عصر الخديو إسماعيل

والمويلحى شاب واسع الثراء تمثل أسرته أقدم البيوتات التجارية فى مصر ، شغل حياته بالناحية السياسية وتفرغ لها ، ظن أن مظاهر الحياة الحرة التى يمثلها إسماعيل فى مجلسه البرلمانى وأساليبه الرسمية وأعماله العمرانية ، توحى بالنظر إلى الأمور نظرة حرة لا تحدها أسوار ولا قيود ، فأنشأ — بالاشتراك مع

عثمان جلال القصاص المعروف وصاحب التراجم المشهورة — مجلة « نزهة الأفكار » صحيفة سياسية أسبوعية وكانا جديدين حقا على الصحافة المعاصرة فى سنه ١٨٦٩ ؛ فصدرت جريدتهما غريبة عن الوسط الصحفى ، إذ أن الصحافة الحرة بدأت فى مصر ، لاهى شعبية ولا هى رسمية فى جريدة وادى النيل ، ثم تخلصت من هذا المظهر الوسط وظهرت على سجيتها شعبية حرة فى نزهة الأفكار ، وكان الخديو لا يقر هذا التطرف الذى تضمنته نزهة الأفكار ، ولا يحتمل هذا التجديد فى الرأى والمعانى ، فهو يريد صحافة حرة ولكن إلى حد ما ، وهذان شابان أغرتهما مظاهر التجديد الذى أخذ يدب فى الحياة المصرية ، فظنا أن لقلمهما حرية الكتابة على ما يهويان ، فعرضا فى العدد الثانى من مجلتهما بالنقد للجيش وشئونه فصادرها الخديو بايعاز من ناظر حربيته ، وكانت أول صحيفة حرة ما كادت أن تولد حتى نزل بها القضاء

وهنا يفترق الصديقان ؛ ينتهى عثمان جلال إلى وظائف

الحكومة ويختمها بمنصب فى القضاء المختلط ، أما صحفينا فيبقى فى الميدان السياسى لا يستطيع أن يملك صحيفة تعبر عن رأيه الحر وفكرته الجديدة ، وأن وسعته مجالس إسماعيل النيابية ممثل المعارضة وحامل لوائها ، ولكنه لم يستقر على حال فى تجارة أو سياسة ، فقد أسس مطبعة باسمه ومضى ينشر فيها الكتب العلمية والأدبية القديمة والحديثة ، وهو فى سياسته العامة أثير الخديو وصديقه ، يتمتع بعطفه مواتيا أومعارضا ، يلقى فى أعماله التجارية من تأييده ما يهيء له فرصة الغنى والثراء وتتسع له فى وظائفه الحكومية وساطة الأمير فيجد فى هذه الوظائف متعة الشاب المدلل ، بيد أن صحفينا كره النشاط فى ناحية واحدة فكان الفشل حليفه فى كثير من الأحيان ، أفلست تجارته ولم يفلح موظفا فى الدولة أو صحفيا فيها إلى أن انتهى عهد إسماعيل ، فصحبه صديقه المويلحى إلى نابلى حيث بدأ يجدد حياته الصحفية ويكتب صفحتها الرائعة فى تاريخه الطويل

انتقل الخديو إسماعيل إلى إيطاليا فى سنة ١٨٧٩ فصحبه ابراهيم المويلحى كاتما لسره ومؤنسا له فى وحدته ، بل تولى وظيفة الداعى لآماله وأحلامه عند الملوك ولدى السلطان واتخذ من الصحافة وسيلة لخططه ، وكانت كل صحيفة تصدر عنه توحى بها الحاجة أو الظرف المناسب ، فاذا انتهى الظرف أو بلغ حاجته وقف عن صدورها أو أعلن احتجابها إلى حين ، ومن بين هذه الصحف صحيفة « الخلافة » التى أنشأها فى نابلى باللغتين العربية والتركية ، منددا فيها بالسلطان عبد الحميد الثانى لأنه وافق الدول الأوروبية على خلع إسماعيل ثم أخذ ينشر فيها فكرة العروبة فى الخلافة وأحقية مصر فيها وظلم الأتراك فى الاستحواذ عليها ، وهزت هذه الصحيفة جوانب الاطمئنان فى عاصمة الخليفة ، وحاول السلطان القضاء عليها بالوسائل السياسية العليا ثم وجد أخيرا فى ذهبه خير علاج لهذه الحملة ، وتم له ما أراد فتوقفت الخلافة عن الصدور ، ثم نزح إلى باريس وتولى إصدار صحف عدة منها صحف الاتحاد والأنباء والرجاء ، وكلها تدعو لإسماعيل

وتمجد أعماله ، بيد أنها صحف لا تغرى قارئا يعاصر ظروف الخديو أو يعرف الصلات التى كانت بين الكاتب والأمير ، فاحتجبت كلها بعد عدد أو عددين ، ووجد صحفينا أخيرا فى عاصمة الفرنسيين الأفغانى والشيخ محمد عبده يصدران صحيفة « العروة الوثقى » وهى من خيرة الصحف الشرقية فى أوروبا فساهم فيها مساهمة الهواة العابرين

ثم ينتقل كاتبنا إلى الآستانة ويمضى فيها عدة أعوام ، ويعين فى بعض وظائف السلطنة الكبرى تقديرا لمكانته الأدبية واعترافا بخدماته للسلطان فى مصر وأوروبا ، وفى الآستانة اختلط الأديب الصحفى برجالات السياسة التركية وأوساط القناصل والسفراء ودرس عن كثب وسائلهم جميعا ، ثم عاد إلى القاهرة ، وأنشأ صحيفته الأسبوعية « مصباح الشرق » وهى من الصحف الممتازة التى تمثل وجهة نظر الخديو والسلطان ، ومضت المصباح ناقدة السياسة العامة فى أسلوب رصين وعبارة سخية ونكتة لاذعة

وبيان هو غاية ما يرجوه الصحفى فى الإنشاء والتحرير ، وانتهى صحفينا كما بدأ ، كان فى نشأته أول صحفى سياسى فى مصر ، ثم انتهى تاريخه فى سنة ١٩٠٦ علما من أعلامها المنشئين لها المجددين فى نواحيها العاملين على توكيد سلطانها وخطرها وإن صحبه الفشل فى وسالته وكبا به الزمن مرات ومرات

سليم وبشـــارة تقله

« مهداة للأستاذ صلاح ذهنى
سكرتير دار الأوبرا »

صحفيان بالطبع والسليقة، وكاتبان بالدرس والمرانة، استطاعا فى وقت قصير أن يسجلا تاريخا حافلا فى الصحافة العربية فى جريدتهما « الأهـــرام » الصحيفة المثلى فى الصحافة العربية والجريدة الكبرى فى العالم العربى، وأقدم دورية سياسية فى الشرق بقيت على الزمن وتخطت أحداث الحياة وقطعت من عمرها سبعين عاما، فى ديسمبر سنة ١٨٧٥ تقدم « الخواجه سليم تقلا » كما يسميه الترخيص بإنشاء الجريدة، تقدم إلى نظارة الخارجية المصرية يلتمس كما ينص ترخيص الأهرام « التصريح اليه بانشاء مطبعة تسما الأهرام ! كائنة بجهة المنشية بالاسكندرية يطبع فيها جريدة تسما الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى !

وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر والأشعار، والقصص الأدبية وما يماثل ذلك من الأشياء الجايز طبعها، ووافقت الخارجية على إنشاء المطبعة والصحيفة وعلقت موافقتها على شرط ذكرته هو ألا يتداخل صاحبها، مطلقا فى المواد البولوتيقية وامتثاله لقانون المطبوعات، ثم صدر أمر لمحافظ الاسكندرية، بعدم المعارضة للخواجه المذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها، !

وصدرت الأهرام فى اليوم الأخير من ديسمبر سنة ١٨٧٥ لرئيس تحريرها سليم تقلا، يعاونه فى النواحى الإدارية شقيقه بشارة، وهما شابان لبنانيان، كان سليم أظهرهما فى التحرير والإنشاء له صلات طيبة بأدباء بلده، وله حس أدبى أثر عنه فى كتاب ألفه عن النحو والصرف، وبعض القصائد الوصفية، والمقالات الأدبية والاجتماعية فى صحفه المختلفة

أصدر سليم الأهرام أسبوعية ثم أنشأ جريدة «صدى الأهرام» فى ٩ ديسمبر سنة ١٨٧٦ يومية وطبع منها عـــدة آلاف أرسلها إلى الأعيان رجاء الاشتراك فيها فردت جميعا ، ومع ذلك مضت الأهرام صحيفته الأسبوعية وصدى الأهرام صحيفته اليومية ، وقد اختلف محرر الأهرام مع خديو مصر فسجنه وأغلق صحيفته وصادر مطبعته ، ثم شفع فيه عنده فأفرج عنه وعن صحيفتيه فأضاف اليهما صحيفة جديدة سماها « الوقت » ، وأخيرا استغنى بالأهرام عن صحفه جميعا ووقف عليها نشاطه وجهـده ، وكان سليم على صلات طيبة بتوفيق ولى العهد فاذا تولى صديقه الأريكة الخديوية كان هو وشقيقه فى خدمته حتى شبت الثورة العرابية فنزح الى سورية وأحرقت مطبعته ومخلفات صحيفته بما فيهـا من كتب ومؤلفات له ولغيره من أدباء العصر المعروفين

وسليم تقلا مثال رائع للصحفى الذى يفنى فى عمله ، فقد كان يقضى أيامه فى الجريدة ، يعاون العمال فى صف الحروف ويعلم

المحدثين منهم وظيفتهم الجديدة فى المطبعة ، ويكتب المقالات ، ثم يعود فيصوغ الأخبار وينقلها من أسلوب المخبرين التافه المرذول الى أسلوب عربى صحيح ، ثم يتولى كتابة أسماء المشتركين ، ولم يوئسه انصراف القراء عنها حينا بعد حين ، وأخذ يعالج نقصها باستكتاب الكتاب المشهورين من أمثال الأستاذ الشيخ محمد عبده الكاتب المعروف ، كما استطاع أن ينال تأييد القنصلية الفرنسية كلما اشتدت به الأمور أو نزلت به ضائقة الإرهاب

ويبدو سليم صحفيا بارعا فى هذا التنظيم الرائع لصحيفته ، فهى فى صدر الصحف الشرقية عناية بالبرقيات الخارجية ، وهى برقيات روتر وهافاس ، وصحيح أن صحافة ذلك العهد عنيت جميعا بهذه البرقيات غير أن الأهرام انفردت بالفن الصحفى فكانت للبرقيات مكانة الصدارة فى الأهرام ، وليست كل البرقيات جديرة بالنشر ، لذلك كانت برقيات الأهرام النخبة المنتقاة بين برقيات الصحف جميعا ، ويعود ذلك الى فهم صاحب الجريدة للسياسة

الخارجية فهماً سمح للأهرام دون غيرها أن تنشر فى كل عدد منها بحثا عن السياسة الخارجية سواء اتصل هذا البحث بمصر أو تركيا أو بأزمات أوروبا ومشاكلها فى ذلك العهد ، وصاحب الأهرام لا يجارى زميلات صحيفته فى العناية بالزخرف اللفظى أو الصور البيانية ، بل اختار لصحفه لغة الصحف ، وهى لغة صحيحة فى عبارة واضحة ، خالية من السجع آفة الأدب والصحافة فى عهد إسماعيل

ولما صدرت الأهرام يومية فى سنة ١٨٨١ أذاع فيها سليم تقلا دستورها الجديد ، ولعله لا يزال معمولا به فى أهرامنا الحديثة ، قال إنه سيرفع من ألفاظها ما كانت تنعت به المواطنين كقولها « الوطنى النزيه — الهمام — النبيه — الوجيه » وما إلى ذلك من الفاظ التقريظ والإكبار ، وستكتفى بالرتب الرسمية مثل « عزتلو ورفعتلو » ، كما أنها ستعنى بذكر أنباء الذاهبين والعائدين من ركاب الدرجة الأولى والثانية فى القطر الحديدية دون

ذكر ألقابهم ، وأن الأسماء التى سيكون لها حظ الذكر عندها هى أسماء الباشوات والقناصل « والفيس قناصل » على حد تعبيرها كما أخذت على نفسها عهدا بألا تكتب مقالا فى مدح إنسان ولا مقال ذم فى أحد

ثم قرر سليم أن يلحق بذيل الصحيفة ترجمة طيبة لناحية من نواحى الأدب الرفيع فى التراجم والقصص ، ثم مضى يعيد نشر هذا فى كتب تصدر عن الأهرام وتباع للناس ، فساهم بتعريبه الكتب ونشرها فى إذاعة لون من الثقافة العامة كانت مصر وبلاد الشرق فى أشد الحاجة اليه ، وكانت الأهرام إذ ذاك أوسع الصحف المصرية انتشارا فى البلاد الشرقية من حدود الهند إلى مشارف الاطلنطى

وتمتاز سياسة محرر الأهرام سليم تقلا بالاعتدال فى المسائل السياسية الداخلية ، ولم يعنف إلا فى فترة الثورة العرابية وفى أعقابها ، ولم تتول الأهرام المعارضة العنيفة فى مصر غير مدة

قصيرة بين ١٨٨٤ و ١٨٩٤ ثم عادت الى سياستها المعتدلة التى نشأها عليها صاحبها سليم ، غير أن صحفينا عنى بجانب البرقيات والدراسات السياسية بمناقشة المسائل الاقتصادية مناقشة الخبير العالم بأصول الاقتصاد ، وخصص يوما من أيام الأهرام لمراجعة النشاط الاقتصادى فى مصر ومعالجة الأمور المالية معالجة قدمت محررها فى هذه الناحية على جميع محررى عصره ، ثم أفرد المحرر جزءا من صحيفته اليومية منذ نشأت الأهرام لنشر أنباء الشرق الأدنى ، وشرح مختلف نشاطه العلمى والأدبى والسياسى ، ولم تكن هذه السياسة الصحفية وقفا على الأهرام وحدها بل انها كانت سياسة مؤسسة آل تقلا فى صحفها « الأهرام وصدى الأهرام والوقت والحال » على التوالى

هذا هو نصيب سليم تقلا فى المؤسسة الصحفية التى انشأها هو وشقيقه ، غير أن سليما هذا الذى عودنا البحوث الرائعة فى السياسة الدولية والاقتصاد المحلى والخارجى لم يقتصر على الجانب

الصحفى فى حياته ، فهو مفتن بحسه ونشأته ، فقد كان من فتيان لبنان الذين تتلمذوا على الشيخ نصيف اليازجى وصاحبه ردحا من الزمن ، وله فى النثر الفنى بعض الآثار الطيبة كما له قصائد فى مدح الخديو إسماعيل نال بها عونه المادى وتأييده الأدبى فى توزيع الأهرام ونشرها فى بيئات الموظفين ، وهو القائل فى الأساطيل الحربية

تلك الأساطيل فوق الغمر سابحة
والغمر منها كسهل وهى كالقلل
دانت لهيبتها الأنواء خاضعة
فحيثما قصدت حلت بلا مهل

وله فى الدعابة شعر لطيف قال بعضه فى التدخين

عذل التدخين قوم قد رأوا
بيدى سيكارة أعشقها

قال دعها فهى سم ناقع
قلت لا والله لا أعتقها
إن تكن سما فانى محرق
شرها بالنار إذ أحرقها
وعليه فاعذلوا أو فاعذروا
فعلى الحالين لا أطلقها

فصاحب هذا الحس الأدبى لم يقصر نشاطه على المجهود السياسى أو الاقتصادى بل فكر فى نشر مجلة أدبية علمية تصاحب المقتطف وتسد فراغا كان المصريون فى حاجة اليه فقرر فى سنة ١٨٧٨ نشر صحيفة علمية تسمى « المنارة » ؛ وحيت الفكرة جريدة « الوطن » المعاصرة ، وأعد أدباء مصر والشرق عدتهم لاستقبالها والمساهمة فى تحريرها إلا أن الحوادث لم توات صاحبها بتحقيق هذا المشروع فانصرف عنه إلى نشر بعض المقالات الاجتماعية فى الأهرام وملحقاتها من قلمه أو من قلم

أدباء الجيل

وقد بقى سهم شقيقه بشارة محجوبا عن قارىء صحافة الأهرام ردحا من الزمن ، ثم طلع علينا بشارة سنة ١٨٨٢ بأحاديث سياسية أخذ يراسل بها الأهرام من باريس وغيرها من عواصم الدول الأوروبية الكبرى ، وهى أحاديث نالها صاحبها من رءوساء الحكومات أو وزراء خارجيتها عن السياسة المصرية ومشاكلها ، وكان هذا حدثا فى عالم الصحافة الشرقية جميعا ، لأن فكرة الأحاديث من هذا اللون لم تكن معروفة إلا فى صحافة أوربا ، لذلك لم يجد بشارة بأسا أو ضيقا فى الحصول على آراء ساسة العصر الأوروبيين فى شئون بلاده ، واستكملت الأهرام بذلك نقصا فى الصحافة المصرية وسدت فراغا كان ملحوظا ، ومنذ ظهرت هذه الأحاديث السياسية أخذ نجم بشارة يسامى نجم شقيقه سليم ، بل ان بشارة يعود اليه الفضل

وحده حين عرفت الأهرام فى تجديدها الحديث يوم نقلت من الإسكندرية الى القاهرة وخلفت وراءها مطابعها القديمة واستقبلها القراء صادرة عن مطابعها الحديثة التى كانت تنافس مطابع أعظم الصحف الغربية ، وهى لا تزال تأتم بكل جديد أمدها به بشارة بعد أخيه، ولا تزال تستوحى صاحبيها المؤسسين كلما رانت إلى جديد أو أحست حاجة إلى تجديد

أديب اسحق

« مهداة للدكتور حسين مؤنس
عضو بعثة كلية الآداب بجامعة فؤاد »

ولد أديب اسحق فى دمشق سنة ١٨٥٦ وتلقى فى الشام دراسته الأولى حيث تعلم مبادىء اللغتين العربية والفرنسية ، ثم جدت عليه ظروف قاسية ، واستلزمته رقة حال أسرته التى كان يعولها أن يعمل موظفا فى الجمرك وهو فى دور المراهقة ، ثم أخذت حياته تتطور من ضيق الى ضيق حتى قضت أمور العيش أن يطوف ببيروت ويقضى فيها ردحا من الزمن ، وصل فى أثنائه نفسه بأدبائها ، ولقى منهم وبينهم خيرا وعلما وحدبا على شبابه اليافع وتفكيره المعتدل ومزاجه الأدبى

وشغفته حياة الشعر والأدب وهو أديب باسمه وطبعه ، وكان يميل الى الأعمال الصحفية فتولى تحرير جريدة « ثمرات الفنون » وهى من أمهات صحف بيروت وكانت تديرها شركة ساهم فيها

عيون الأدباء فى لبنان ، ثم انصرف عنها إلى شقيقتها « التقدم البيروتية » يوليها من نشاطه وفضله شيئا موفورا ، وله فى « ثمرات الفنون والتقدم » فصول ممتعة وقصائد من روائع الشعر ، وشغل نفسه بالعمل الصحفى ووظف قلمه بجانب الصحافة فى التأليف فأنشأ كتابا سماه « نزهة الأحداق فى مصارع العشاق » ويمتاز فى كتابه هذا وفى فصوله السابقة الذكر أنه كان جديدا فى هذا الميدان ، له أسلوب لم يعتده معاصروه لا فى سورية ولا فى مصر ، وكان لنشاطه الأدبى أثر ظاهر فى الحياة الأدبية فى الشام قربه إلى أدبائها ووضعه من نفوسهم موضع التكريم ، واتصل آخر الأمر بجمعية زهرة الآداب وأصبح فيها من الأعضاء المجودين ، وقدره رئيسها البستانى حق قدره ، حتى إذا أقبلت سنة ١٨٧٥ عمل مع جماعة من الأدباء فى تصنيف مؤلف كبير سموه « آثار الأدهار »

ثم انتقل إلى الاسكندرية فى سنة ١٨٧٦ إذ كانت البلاد

المصرية فى ذلك الوقت تعيش فى موجة تقدير وإعجاب من الشرق الأدنى، وكان خديوها إسماعيل يشجع نهضتها الأدبية بماله وعطفه، ويعهدها برعايته وحدبه، فأقبل الرجل على هذا المورد بكلياته، فوجد زميلا له هو سليم نقاش يقوم بفن التمثيل العربى، وهو فن وليد فى حياة المصريين، فقام معه بتمثيل الروايات فى حضرة إسماعيل، وكان نشاطه فى هذا الفن ملحوظا إذ أمد المسرح بالروايات تأليفا وتعريبا، ومن الروايات التى عربها (اندروماك) عن راسين ثم عاد فترجمها مرة أخرى، ونظم فى خلال سطورها أبياتا جديدة من الشعر الرائق، ونشر هذا فى كتاب له سماه «الدرر» مع رواية أخرى بعنوان «شارلمان» التى ترجمها فى الإسكندية وأعجب بها المصريون إعجابا منقطع النظير

ثم سمع أديب بهذا النشاط الفكرى الذى ملأ به جمال الدين الأفغانى جو القاهرة فقصدها سعيا وراء هذا النشاط فاتصل بجمال الدين وتتلمذ عليه وقرأ فى رحابه كثيرا من الأدب

والفلسفة العقلية والمنطق ، وتوثقت الصلات بينهما فاقترح عليه الأفغانى أن يصدر جريدة عربية وكان العهد بالجهد الصحفى حديثا ، فأعجبته الفكرة وأصدر جريدة « مصر » صحيفة أسبوعية ثم نقلها الى الإسكندية حيث استقبلها السكندريون مرحبين بالإقبال عليها مشجعين بالاشتراك فيها ، وقد ساهم معه فى تحريرها سليم نقاش

وقد امتازت جريدة مصر عن زميلاتها بأنها كانت ميدانا طيبا لأعظم كتاب ذلك العصر ، وفيها صال جمال الدين الأفغانى وجال ، ومهر مقالاته بامضائه ، ولم يكن جمال الدين وحده يكتب فيها بل ان أصدقاءه وتلامذته كالشيخ محمد عبده كتبوا فيها ، ومن على صفحاتها عرفهم الجمهور المصرى واتصل وده بهم

وفى خلال ذلك النشاط الصحفى رأى أديب أن حياة البلاد التجارية ونشاط البورصة والمحيط التجارى تنقصه عناية الصحف

فأراد أن يخدم هذه النواحى بصحيفة تتخصص لها ، فأصدر جريدة « التجارة » فى سنة ١٨٧٨ وهى جريدة يومية احتفظت بصبغتها التجارية فترة من الزمن ، ثم مالت إلى الجدل السياسى كزميلتها مصر ، واشتد جدالها مع الحكومة ، فأصدرت أمراً باغلاقهما لأنهما تجاوزتا المفهوم فى ذلك الزمان ، ومن ثم فكر الوطنيون المصريون وعلى رأسهم شريف باشا فى نقل كفاحهم السياسى من مصر وكلفوا أديباً ليكون رسولهم ولسانهم فى خارج البلاد ؛ فاتجه إلى باريس وهى مقصد كل كاتب حر فى ذلك الوقت ، وهناك أسس مجلة سياسية شهرية سماها « مصر القاهرة » « ليعلن أعمال الغاصبين الذين يسمون حكاما ، ولإحياء كتلة شرقية وليفتح العيون فى غير تمويه » على فعال الدكتاتوريين فى مصر

وفى باريس لم يكن الرجل صحفيا يجدد نشاطه القاهرى فحسب ، بل أخذ يتصل بالبيئات الأدبية والعلمية والسياسية ، وقد

تعرف على كثير من الفرنسيين ووصل حباله بحبالهم ، ثم استقبل عهداً صحفيا جديدا بنشر المقالات فى شتى الصحف الباريسية عن السياسة المصرية ، ثم عكف على المكتبة الأهلية بباريس، وأخذ يطالع فيها شتى الكتب فى الأدب والاجتماع ، وفى خلال هذا الاعتكاف العلمى مضى ينشىء كتابا سماه « تراجم مصر فى هذا العصر » غير أن هذا الكتاب الذى سهر على إنشائه فترة من الزمن ضاع ضمن ما ضاع من كتبه

وفى نهاية سنة ١٨٨١ أخذت الظروف المصرية الداخلية تتطور ، وبدأ حزب الوطنيين المصريين يشتد ويقوى ، وأصبح للعرابيين نفوذ ملحوظ فى دوائر الحكومة فاستطاع أديب أن يعود إلى مصر ، وأن تحتمله وظائف الدولة فعين ناظرا لقلم الإنشاء والترجمة بنظارة المعارف ، وسمحت له السلطات الحكومية بإصدار جريدته القديمة « مصر » على شكل كراسة صغيرة ، وقد اشترك معه شقيقه الذى تخصص لإدارتها ، ثم قامت الثورة العرابية

وأخذت الأمور المصرية تضطرب اضطرابا شديدا ، فهاجر فيمن هاجر إلى بيروت ثم عاد إلى الديار المصرية فيما بعد ، وأخذ يتنقل بين مصر والشام إلى أن وافاه أجله وهو فى ريعان الشباب

هذا عرض موجز لتاريخ أديب أسحق أما أديب كرجل وثيق الصلة بالفن الصحفى فقد ظهر ذلك واضحاً فى جرائده ، إذ كانت صحيفته مصر فى مقدمة الصحف السياسية من حيث نضج التفكير وسلامة التعبير ، شغل كل عدد منها بمقال فى السياسة الداخلية أو الخارجية ، ونشر فيها على التوالى رواية فرنسية معربة وعرض فيها لمعانى الأوروبيين وأسلوبهم فى تناول الحياة ، وقصر صفحة منها للعناية بشئون بلدشرقى ، وتوزعت الأخبار الداخلية فى بقية صفحاتها ، أما البرقيات فكانت قليلة جدا بالقياس إلى زميلاتها المعاصرات ، وكانت مصر فى إيجاز لساناً للمتطرفين المصريين وعنواناً للكفاح من أجل الديمقراطية وحريات البلدان الشرقية

أما جريدته التجارة ، فقد وقفها أول الأمر على شئون التجارة وهى هنا مرجع من أعظم المراجع التى يقصدها الباحث عن النشاط التجارى فى عهد الخديو إسماعيل وفيها لون من التخصص لم يكن معروفا فى كثير من صحف الشرق الأدنى خلال القرن التاسع عشر ، ثم امتازت صحيفته هنا بنشر أخبار روتر وهافاس بل انه أجرى اتفاقا مع شركة روتر هو أول حدث فى الصحافة الشرقية المعاصرة ، فقد نشرت التجارة فى أول يونيو سنة ١٨٧٨ بيانا جاء فيه « أنه بناء على اتفاق حصل بيننا وبين إدارة تلغرافات روتر المهمة فى الاسكندرية قد حصل لنا دون سوانا حق تعريب تلغرافات روتر التجارية والسياسية الواردة إلى هذا الثغر فمن عرب دوننا هذه التلغرافات أو شيئاً منها ونشره معرباً يكون مسئولا عن ذلك بحكم القانون وبموجب الاتفاق » ، فهو إلى جانب العمل الصحفى يستأثر بناحية صحفية عرف قدرها وخطرها ، ولها آثارها الأدبية والمادية ، ولم يطل تخصص التجارة لشئون التجارة

بل ازدلفت إلى السياسة وأخذت تنافس فى ذلك شقيقتها مصر

وقد بلغ أديب أسحق أوجه فى صحيفته « مصر القاهرة » التى كتبها بخط يده أو بخط مساعده عبد الله مراش وطبعها فى « باريس تحت سماء الحرية لنشر مايعود بالنفع على البلاد العربية » وهى صورة لجريدته مصر فى القاهرة ، من حيث أسلوبها الممتاز حقا ، الغنى بالجمال الفنى ، المملوء بروح الكفاح ؛ وهو يعلن خطتها فى قوله « أروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق وآله ، وعن الفضل ورجاله ، وأن أجلو مبادىء الحرية وآراء ذوى النقد .... ومقصدى أن أثير بقية الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربى ، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين وأحيى الغيرة فى قلوب العارفين ليعلم قومى أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ، ومالا منهوبا فيطلبوه ، وليخرجوا من خطة الخسف وينبذوا عنهم كل مدلس يشترى بحقوقهم ثمنا قليلا ، ويذيقوا الخائنين عذاباً وبيلا ؛ وليستصغروا الأنفس والنفائس فى جنب

حقوقهم ، وليستميتوا فى مجاهدة الذين يبيعون أبدانهم وأموالهم وأوطانهم وآلهم » إلى أن يقول « فمن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن عاش بعد هؤلاء الشهداء فهو سعيد »

وتستغرق حدة المزاج هذا الأسلوب ، كما تظهر خطته واضحة صريحة ، فقد وقف الكاتب قلمه على إثارة « الحمية الشرقية وأهاجة فضالة الدم العربى » وهو يرى الشرق كله جزءاً واحدا ويسمى أهله « قومى » وهى نظرة كانت تراها مصر فى ذلك الوقت وينادى بها اليوم كثير من أدبائها وساستها وصحافتها ، بيد أن أسلوبه هنا كان أسلوباً صحيح العبارة مستقيمها ، يمتاز بالعنف والشدة دون أن يكبو بلفظ ناب عن الأدب الصحفى ، وهو فى مقدمة الصحفيين الذين امتازوا بثقافتهم الغربية مع حرص شديد على عبارتهم العربية .

السيد عبد الله نديم

« مهداة للأستاذ هنرى فهمى خريج
كلية الآداب ومن أعيان منفلوط »

كان فى ريعان شبابه لما ذاع اسمه وعرف الناس فضله ، ولم يكن فى مقدوره أن تمر محن مصر فى نهاية عهد إسماعيل وقبيل الاحتلال دون أن يكون له فيها تاريخ ، وهو صورة من صور الثورة العرابية البديعة ، لم تكن نشأته على يسار ، ولم تكن دراسته على انتظام ، فهو فقير يوم ولد ، أديب لا يستقيم مع الدرس المنظم ، فلم يقرأ أو يتأدب بأساليب المدارس والمعاهد بل مضى فى دراساته فريدا بعد تلمذة قصيرة الانتظام ، ثم أخذ يكتب ويشعر ويزجل ، وهى كتابات لم تخل من مرح أو استخفاف بحوادث الزمن ؛ ولم تكن هذه الفنون فى أول الأمر مهنة يكتسب منها صاحبها فاضطر إلى أن يعمل (تلغرافيا) فى عاصمة القليوبية وفى القاهرة فيما بعد إلى أن أحفظه خليل أغا صاحب الكلمة فى

ذلك العصر بغلظته وقسوته فراخ مرتحلا هنا وهناك يعلم أولاد الأعيان إلى أن نزل بمسقط رأسه أخيراً ، وهى مدينة الاسكندرية وهنا انضم إلى الساخطين من أنصار مصر الفتاة ، ثم اعتزل سياسة الخفاء ووصل حباله بحبال أديب أسحق وسليم نقاش وكتب فى صحيفتيهما « مصر والتجارة » وألف القصص التمثيلية ، وأشاع فى بيئة الفقراء حسا وروحا بإدارته « الجمعية الخيرية الإسلامية » ومدرستها التى أنشئت لتعليم الأيتام وأبناء المعوزين

ثم يعمل صحفينا فى المهنة المحببة إلى نفسه ويأتى فى تاريخ الصحافة العربية بجديد ، فينشىء صحيفته « التنكيت والتبكيت » فى ٦ يونيو ١٨٨١ فى حجم كتاب عادى « صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . . . هجوما تنكيت ومدحها تبكيت » ولغتها كما يقول « لا تلجئك إلى قاموس الفيروزبادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا » وسخريتها « نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا » وكانت صحيفته هذه على ود متصل

بصحيفة « الجنان » لبطرس البستانى وأيد الصحفيان هذا الود فى تبادل المقالات بين الصحيفتين

وتمضى الثورة العرابية فى عنفها ويلقى النديم بدلوه فى نواحيها خطيباً وكاتباً من أعز خطبائها وكتابها ، وينشر صحيفة ثورية يسميها « الطائف » ولم تبلغ صحيفة من الصحف مبلغ طائف النديم لا فى مكانتها ولا فى خطرها ولا فى تحريرها ، وهو فيها كاتب حاد الطبع نابغ فى الإنشاء ، اقتصر فى تحريرها أول الأمر على معالجة نواحى النقص الاجتماعية فى مصر ، وهو يصل هنا نشاطه الصحفى الذى بدأه فى جريدتى « المحروسة والعصر الجديد » التى كان يصدرهما سليم النقاش وجاء فيهما بالمعجب والمطرب كما يقول المؤرخون

ثم انتقل صحفينا من المقالات الاجتماعية إلى الموضوعات السياسية العميقة وتفرد بالأخبار الهامة التى كانت للصحف الأخرى مادة وموردا ، ووقف الكاتب يراعته على الدفاع عن

الثورة ورجالها وتكذيب ما ينشر عنها فى صحف الخارج ، وقد احتفى بها العرابيون فاشترك فيها النواب بمبالغ كبيرة ، وأصبحت لسانا فيه من العنف والشدة ما اضطر الشيخ محمد عبده رقيب المطبوعات العربية والتركية إلى تعطيلها شهرا ، وقد اتخذ عطف الهيئات النيابية عليها لونا رسميا نذكر تفاصيله لأنه نادر فى صحافة الشرق والغرب على السواء

كتب محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى ١٥ ربيع الثانى فى سنة ١٢٩٩ إلى « داخلية ناظرى عطوفتلو أفندم حضرتلرى » يقول « حيث أن حضرة محرر الطائف أظهر ارتياحه إلى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه وما يتبع ذلك مما يستدعى القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رؤى أنه لا مانع من مكاتبة الداخلية لتصدر أمرها الى إدارة المطبوعات بمعرفة هذه الصحيفة ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها الى المجلس على الوجه الذى قدمه حضرة محررها الموما اليه » وسمتها الصحف المعاصرة بعدئذ

الصحيفة « الشبيهة بالرسمية » وحبذ هذا الاختيار أديب إسحق فى صحيفته مصر لأن الطائف فى اعتباره جريدة « موصوفة بالوطنية معروفة بصدق النية ، منتشرة نافذة الكلام ، خطيرة مرعية المقام »

وقد استطاع عبد الله النديم بهذه الرسمية التى اكتسبها لصحيفته أن يكون على بينة من شئون الدولة وأن يجد فى عطفها المادى والأدبى ما يعينها على تخطى المصاعب التى تعترض الصحف عادة وتحول دون تقدمها ، وهذه ميزات بجانب قدرة محررها ومطاوعة البيان له تجعل لها مكانة خاصة بين الصحف المصرية خلال الثورة العرابية .

وامتاز عبد الله نديم فى المدة الأخيرة من تحرير الطائف بهذا العنف الذى بلغ حدا خرج بالأديب الكاتب عن آداب المناظرة فأسف فى المقالات التاريخية التى كتبها عن بعض عظماء مصر إسفافا ظهر فيه الغرض واضحاً حين أقعده المرض عن

الكتابة إلا هذه الفصول التاريخية فقد اعتبر نشرها علاجا مما هو فيه من داء ! وقد ضجرت منه الحكومة لأنه أحرجها بما كتب فعطلت جريدته فترة أخرى من الزمان

وقد أبقى السيد عبد الله النديم على وفائه للثورة والثوار ، وعمل تحت رايتهم مؤمنا باتجاههم وعنفهم ، وانتقل بصحيفته إلى ميدان الحرب لما وقعت بين العرابيين والانجليز ، ومضى هناك يحرر الطائف فى معسكر « كنج عثمان » ومقالاته جميعا على وتيرة واحدة ، وقصدها إثارة الهمم ، والطعن فى خصوم الثورة ، وعن صحيفته نقلت صحف القاهرة أخبار الحرب وتفاصيلها ومقالات النديم ، ثم دأب صحفينا على نشر ملاحق للطائف يذكر فيها مساوىء خصومه سواء من الصحفيين أو غيرهم ممن يشتغلون بشتى الوظائف فى حياة مصر المختلفة ، وفى هذه الملاحق من الهجو المقذع ما تحلل فيه الكاتب من أسلوبه الرفيع وأسف أحياناً إسفافا منقطع النظير ، ومثل بذلك اتجاه العرابيين المتطرفين ،

وبقى كفؤا وندا قاسياً لصحفيي الأسكندرية التى كانت لها صحافة تخاصم الثورة وتهاجمها

ثم أخفقت الثورة العرابية ، وفر من فر وحوكم من حوكم ، ولم يستطع المسئولون أن يعرفوا أين ينزل النديم بين عالم الأحياء أو الأموات ، بيد أنه كان فى القطر المصرى وأمضى فى اختفائه تسعة أعوام متنكرا فى شتى الأزياء ، وعرف الكثيرون شخصيته غير أنهم أبقوا على سره بالرغم من رصد الحكومة إياه وتقديرها مكافأة مالية ضخمة لمن يرشد إليه ، ثم اعتقل فى أخريات عهد الخديو توفيق ، وأثار اعتقاله ذكريات الثورة من جديد إلا أن الخديو عفا عنه على شريطة أن يهاجر الى أى بلد خارج القطر المصرى ، فاختار المترجم مدينة يافا ونزل فيها عند مفتيها مكرما معززا بين مواطنيها من كرام الفلسطينيين ، وأخذ يطوف بتلك البلاد ومدنها فزار معظم المدن الفلسطينية ، وفى تلك الأثناء قضى توفيق وتولى الأريكة الخديوية عباس الثانى ، فعفا عن

النديم وأذن له بالعودة إلى مصر

عاد خطيب الثورة وكاتبها ولم يكن فى مقدوره أن يكافح من جديد بنفس الأساليب القديمة الا أنه أصدر صحيفة أسبوعية « علمية تهذيبية فكاهية » سماها « الأستاذ » وكان ذلك فى أغسطس سنة ١٨٩٢ ومع أنه عالج الشئون الوطنية فيها برفق ودعة إلا أن معانيها لم ترق المسئولين وأصحاب السلطان فى ذلك الوقت وخاصة أنها لقيت رواجا من جميع الطبقات فاق جميع الصحف الأسبوعية إذ ذاك فأمرت الحكومة بتعطيلها وادعى خصومه أنه يثير مشاكل التعصب ، ووجوده خطر على وحدة البلاد ، فطلب اليه مبارحة مصر ، وكتب فى ذلك وداعا نثراً وشعراً هو آية ما يكتب مواطن فرض عليه الاغتراب عن مواطنيه

نزل عبد الله نديم مرة أخرى مدينة يافا ، غير أن سعاة السوء أوغروا صدر السلطان عبد الحميد عليه فأمر بابعاده عنها

فعاد إلى الأسكندرية الى أن توسط له رجال السلطان فرضى عنه وفتح له صدره فى الآستانة وعينه فى وظيفة من وظائف الدولة فكان يمضى معظم وقته فى حضرة صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغانى ؛ وتمكنت أواصر الود بينهما حتى صرح الأفغانى بأنه « ما رأى مثل النديم طول حياته فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة المعارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما بأزاء معانيها إذا خطب أو كتب » وقال فيه بعض معاصريه « إن شعره أقل من نثره ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا » وقد بقى بقية العمر غريباً عن وطنه وأهله حتى نزل به قضاء الله فى أخريات سنة ١٨٩٦

الشيخ على يوسف

« مهداة للدكتور توفيق الطويل
المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق »

شخصية من أبرع الشخصيات الصحفية فى الشرق العربى ، شغلت العالم الإسلامى حقبة من الزمان كانت زاخرة بالمشكلات والأحداث ، فالشيخ على يوسف قطب من الأقطاب الذين عاصروا تطورات الشرق فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو تلميذ مدرسة وأستاذ مدرسة ، هو تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغانى فى صحافته أيام إسماعيل وصدر حكم توفيق ، صاحبه أياما ونشر بعض المقالات فى صحافة ذلك العهد ، فهو تلميذ نشيط فرض وجوده فى بيئة الوطنيين المغامرين ، وهو مع ذلك أديب عرفه الشرقيون فى صحيفته « الآداب » وهى صحيفة تخصصت للأدب والفنون ، ووهب لها الشيخ شبابه فى خدمتها وتوفر عليها سنين ، حتى لاحت فى أفق مصر أحداث استوجبت إنشاء صحيفة سياسية

فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩

أصدر الشيخ على يوسف جريدة « المؤيد » ومن أهم أغراضه فيها كما يقول « بث الأفكار المفيدة والأخبار الصادقة والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير أو الترويح والتبشير غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية » وهو يسوس صحيفته فى هوادة وتؤدة ، ويحتل بهذه السياسة المكانة التى كانت لجريدة « العروة الوثقى » فى باريس لصاحبها الأفغانى ومحمد عبده ، وبذلك أصبحت « المؤيد » مجالا للأقلام الوطنية الناشئة فى البيئة المصرية ، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين ، وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها وعالجت الموضوعات المصرية الإسلامية فى مقالات طويلة كما حملت على الاستعمار أيا كان لونه أو مداه وخاصة إذا اتصل بالمسلمين فى أى مكان من الأرض اتصال الظالم بالمظلوم

وصحفينا يقيم خطته فى أول الأمر على الدفاع عن الشرق

والإسلام ومخاصمة الانجليز ، أما عن الأولى فقد أيد تاريخه فيها صدق عاطفته لشرقيته وحرارة إيمانه باسلامه وأما الثانية فقد ارتد عنها مؤمنا بصداقة الانجليز ، مؤثرا هذه الصداقة لمصر على صداقة السلطان وحكومته ، وقد غلا غلوا خطيرا فى النظر إلى الأمور الدينية حتى خلق فى البيئة المصرية خلافا بين المسلمين والمسيحيين سواء كانوا من المواطنين المصريين أو النزلاء الأجنبيين وكان الإيطاليون اكثر الشعوب محلا لخصومة الشيخ على يوسف فهو يحمل عليهم يوما بعد يوم وهو القائل فيهم « إن أمة الطليان أخس الأمم وأدناها وأسمجها وأسفلها » بينما يرى الرجل أن صداقة الانجليز واجبة لأنهم يضعون مما يختلفون عليه محل النظر والاعتبار ولا يتعصبون لجنس أو دين لذلك قالها كلمة هزت الرأى العام المصرى هزة عنيفة « إن لندرة يجب أن تكون كعبة المصريين السياسية » واحتمل بذلك خصومة مصطفى كامل والمتطرفين فى مصر ، ومع ذلك كله استطاع الشيخ على يوسف أن يساهم

مساهمة الأصيل فى السياسة المصرية العامة ومضت صحيفته توزع أربعين ألف نسخة على حين كانت أعظم الصحف انتشاراً لا توزع أكثر من أربعة آلاف نسخة ، وكان نصف ذلك العدد من المؤيد يوزع فى بلدان الشرق العربى

ويرجع هذا النجاح الصحفى إلى شخصية الكاتب وقدرته وإخلاصه لصحيفته وفنه ، حتى شهدت له The Egyptian Gazette بقولها « قل أن يوجد بين الصحفيين من استطاع الوقوف الى جانب صاحب المؤيد ولا يوجد ذو مسكة من العقل لا يضع الشيخ على يوسف فى أعلى طبقة من طبقات رجال الصحافة ، فأنه تمكن بالجد والاجتهاد والمثابرة من إيصال جريدته الى درجة « التيمس » لا فى العالى العربى فقط بل فى جميع العالم الإسلامى »

وليس الشيخ على يوسف كما تقول الاجبشيان جازيت صحفيا ممتازا فحسب فقد بنى مجده الصحفى منذ شبابه وبلغ فيه

مراتبه العليا فى مجلة الآداب والمؤيد اليومى والمؤيد الأسبوعى الفرنسى ، وبما أنشأ من تنظيم لمؤسسته الأخيرة وأعد لها من محركات كهربية لإدارة مطابعها وهو أول حدث من نوعه فى مصر ، غير أن للشيخ على سمة ظاهرة فى تاريخه الصحفى ؛ فهو مناضل فى سبيل توزيع المؤيد بكل الوسائل فى جميع البلاد الإسلامية مهما تحاربه السلطات الوطنية والخارجية ، وهو بطل القضايا الصحفية فى مصر ، بطلها فى ناحيتيها السياسية والاجتماعية لثلاث وعشرين سنة فى كفاحه الصحفى العريض

لقد شغل الشيخ على يوسف الرأى العام المصرى بقضية التلغراف ، وهى برقيات نشرتها المؤيد عن الحملة العسكرية فى فتح السودان ؛ وأثارت هذه البرقيات عاصفة من النقد للسياسة العسكرية الجارية إذ ذاك ولم تثر العاصفة بين المصريين وحدهم بل بين زملائهم وشركائهم الانجليز ، وأثبتت هذه القضية أن وسائل الإخبار فى الجريدة وتسقطها لها تفوق جميع الوسائل عند الصحف

المعاصرة جميعا ، ومن هنا جاء إعجاب الناس بها ، واستطاع الشيخ أن يتصدر الصحفيين فى الفن الصحفى والتحرير السياسى

ثم يشغلنا الشيخ على يوسف بقضية اجتماعية تضع الصحافة والصحفيين موضع التجريح وتنشأ بها مجادلات فقهية ودينية تمس مهنة الصحافة فى الصميم ، بل إن هذه القضية التى شغلنا بها الشيخ تصرف الناس فى مصر عن جميع المشكلات السياسية والخلافات الحزبية ، لأنها قضية مست الأخلاق فى عرف العصر وأصبحت محكا للتطور الاجتماعى بين القديم والجديد

وتجمل قضية الشيخ أنه تزوج سيدة من بيت إسلامى عريق دون موافقة والد عروسه ، وبالرغم من أن العقد تم فى حدود الشرع والدين إلا أن الوالد أساءته مصاهرة صحفى مهما يعل شأنه وتعتز به أقلام الصحافة فى تاريخها الحديث ، فثار على الواقع وأقام دعوى تفريق أمام المحاكم الشرعية ليحال بين ابنته وبين زوجها لأنه دونها فى النسب والحسب ولأنه يمتهن مهنة لا يكرم

بها صاحبها . وكان الرأى العام ضد صحفينا الكبير والحكومة المصرية فى جانبه وهى التى حالت دون فصل الزوجين بعد قرار القاضى بالفصل بينهما ، وكاد الأفندى قاضى القضاة يثير أزمة حادة فى دوائر القضاء إذ هدد بوقف القضايا الشرعية جميعا وغلق أبواب المحكمة

وقف الرجعيون من أصحاب الصحف موقف الخصومة من الشيخ وفعلته ووقفت صحف الأقباط محايدة فيماذهبت اليه أزمة الشيخ وفيما جرى عليه عرف المسلمين ، والمهم فى ذلك كله ما لقيته الصحافة فى هذه القضية عند القضاة والمحامين

يذكر والد محامى العروس عن الصحافة رأياً يهز أركانها ويهدر كرامتها ، فهى وإن كانت عنده لا تشرف إلا بشرف استعمالها الا أنه يسميها « حرفة دنيئة » قائلا « أليست عبارة عن الجاسوسية العامة وهى معدة للإشاعة وكشف الأستار وهذا منهى عنه شرعا فضلاعن نشرها الإعلان عن الخمر وأمكنة اللهو »

هذا رأى محامى شيخ السادات وهو رأى يسىء إلى الصحف جميعا فهى عنده حرفة دنيئة مهما يعتذر عنها بشرف الصحفى وعلو همته ، لأن الصحف عامة تشترك فيما نهى عنه الشرع وهو إذاعة الأخبار وإشاعتها بين الناس ، وهى فى أكثرها تنشر إعلان الخمر وأخبار الملاهى ومنتدياتها ، وفى هذا من الاتهام الصريح ما كان يجمل بالصحافة المصرية أن تتعاون على رده مهما تختلف نزعاتها السياسية واتجاهاتها العامة حتى لا تعطى المحكمة بعد المحامى فرصة تأييد وجهة نظر المدعى وحط قدر الصحافة

فاذا دافع الشيخ على ومحاميه عن مهنته وعن عمله ، ووالته بعض الصحف بالتأييد والحملة على محامى السادات ونعتته بأنه جاهل غبى لا يدرك ولا يفهم ، ردته المحكمة فى ذلك جميعا فهى ترى « أن صناعة التحرير لا تنهض دليلا على العلم » ثم تقول عن الصحافة « وحيث أن حرفة الصحافة التى نسبها المدعى لنفسه قسمان قسم يبحث فى علوم وفنون مخصوصة لايدعيها الشيخ على

لنفسه وقسم لا يختص بموضوع مخصوص وهى الجرائد اليومية ووظيفتها إرشاد من تتكون منهم المملكة من الأفراد والعائلات والهيئة الاجتماعية والحكومة ، فهى معدة للارشاد العام ويجب أن يتوفر فى صاحبها أعلى أنواع الثقافة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، كما يجب أن يكون على قدر من شرف النفس ونبل الضمير وأن يكون من أشد الناس محافظة على الكمالات والآداب حتى يمكنه أن ينفع بنصحه فضلا عن وجوب علمه بالسياسة الداخلية والخارجية ولكن المدعى عليه لا يمكن أن يدعى لنفسه هذه الصحافة أيضا ، ذلك لتقلبه فى المبادىء لغير سبب وتعرضه للشخصيات فى ثوب المصالح العامة وسكوته عن بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض بعض من يهمه رضاهم ، ولا نريد أن نعدد له ما فعل ؛ وكفى بهذه القضية وحدها دليلا على ذلك ، وعلى ذلك فالمدعى عليه ليس مشتغلا بالصحافة قائما بها ، وإنما هو يشتغل بشىء يشبهها لأغراضه ، ملبسا له ثوب الإرشاد والمصلحة العامة ، وهذا اشتغال بأخس الحرف وأدناها ، وعلى ذلك لا يكون

محترفا بالصحافة وإنما هو محترف حرفة أخرى دنيئة »

ومهما يكن من أمر هذا الحكم فان الصحافة خسرت فيه ، لأن اتهام قطب من أقطابها بجهله السياسة الداخلية والخارجية كفيل وحده بأن يسقط كثيرا من الصحف والصحفيين فى ذلك الوقت وهو حكم لا يتصل بالشرع لأن الغرض ظاهر فيه ، وكأن الأستاذ قاضى القضاة والخديو معه والتقاليد من حولها قد تكاتفت على إصداره فى هذه الصورة التى إن دلت على شىء فانما تدل على أن السياسة وحدها كانت صاحبة الموقف جميعا

وقد استطاع شيخنا أن يمضى فى صحافته بالرغم من حكم المحكمة وبالرغم من ثورة التقاليد بل استطاع أن ينزع من العامة أصحاب هذه التقاليد الإعجاب بصحيفته والحرص على قراءتها ثلاثة وعشرين عاما حتى عين شيخا للسادة الوفائية ونال رتبة الباشوية فودع المؤيد فى سنة ١٩١٣ بكلمة مؤثرة إذ هو يودع كما يقول « المهنة التى احترمها واعتبرها من أشرف الأعمال المفيدة كثيرا للهيئة الاجتماعية »

مصطفى كامل

« مهداة للأستاذ على عبد العظيم
المحامى ببنك مصر »

يمثل مصطفى كامل الزعيم المصرى الشاب طورا من أطوار الصحافة العربية فى مصر كما تمثل حياته فى الصحافة طورا اجتماعيا جديدا ، فقد كان العهد الذى عاش فى أعطافه مصطفى كامل يرى الصحافة « حرفة دنيئة » وهو رأى لم يره خاصة الأغنياء فحسب بل هو رأى صدر عن هيئة رسمية مصرية وجاء فى حكم من أحكام القضاء الشرعى ، ثم استكمل مصطفى زعامته عن طريق الصحافة وبها شق طريقه إلى الخلود زعيما لجيله وأسوة حسنة على مدى الأجيال

ولد صحفينا فى سنة ١٨٧٤ وأتم دراسته الابتدائية كلداته من أبناء جيله ثم تخير دراسته العليا فى مدرسة الحقوق ، واختارها كما يقول « لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأمم

والأفراد ، وبانت ميوله الصحفية وهو تلميذ فأنشأ مجلة مدرسية وهو أول لون من ألوان النشاط الصحفى لتلميذ فى مصر وقد سماها « المدرسة » وكان شعارها « حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك » وهو اتجاه يبين عن صحفى يعرف رسالة الصحافة ويقدر مكانتها فى حياة الشعوب

ثم يفرغ الكاتب من رئاسة القانون ، ويفزع إلى الصحافة المعاصرة يودعها من آماله وآياته الشيء الكثير ، وهو هاوحقا من هواة الكتابة والتحرير غير أنه مدفوع بهاتف من نفسه ، وهو هاتف يؤمن بالصحافة ويرى فيها وسيلته الحسنة لأداء الرسالة الوطنية على أحسن الوجوه ، وكان العهد قد خلا من الصحف التى تعجب الفتى الصحفى المتدفق حماسة ووطنية ، غير أنه وجد ضالته فى صحيفة الأهرام سنة ١٨٩٥ وكانت الأهرام منذ سنة ١٨٨٤ تحمل علم الجهاد الصحفى فى عنف حير المسئولين وأقض مضاجعهم ، وكم من القضايا الصحفية أثارتها قصة الأهرام إذ ذاك !

مضى المترجم إلى الأهرام ففسحت له صدرها ، وتوثقت عرى الود بينها وبين صاحبها ومحرريها ، وأفردوا له فى مبناها حجرة هى فى اعتبار التاريخ أول ناد للحزب الوطنى ، إذ كان المعجبون به والساخطون على الحياة يلتقون فيها ويتبادلون الرأى وعن هذه الحجرة الصحفية صدرت أول التعاليم الوطنية بعد الاحتلال ، وكانت أهم مقالاته فى جريدة الأهرام مقالا استغرق صحفتها الأولى عن « الوعود الصريحة » وهى وعود الجلاء المتكررة وهو هنا صحفى عنيف ساخر غير أنه ذو أسلوب رفيع لا يكبو بلفظ خارج أو عبارة جارحة ، وإنما هو يطالب « الشرف البريطانى الجليل الشأن الرفيع البنيان » بتحقيق الوعد وتنفيذ الكلمة ، وهو ينشر بعدئذ حديثا صحفيا مع السير بارنج « الورد كرومر » له خطره ومكانته كعمل صحفى وله آثاره كعمل وطنى ، وتمد الأهرام فى رحابها لمصطفى كامل وله فيها بين آن وآن مقال نارى إن صح التعبير ، وقد أحس قراؤها هذا اللون من البيان الصحفى دون أن يعرف إلا القليلون أن صاحبه

مصطفى كامل لأنه أخفى الإسم ورمز له كما يصنع كبار الصحفيين الذين يعنيهم الموضوع ولا يسيئهم إنكار الذات

ثم ينشىء المواطنون جريدة « المؤيد » سنة ١٨٨٩ وهى جريدة الشيخ على يوسف ، وهنا يساهم مصطفى كامل فى تحريرها وإن لم يكن من أعضائها المؤسسين أو محرريها الأصيلين ؛ وينشر فيها المقالات وتذيع عنه الخطب ، وهو فى ذلك الوقت لا يقتصر على صحافة مصر بل يذهب إلى أوروبا داعية لمصر يذود عن قضيتها بالخطب ونشر المقالات ، وكانت وكالات الأنباء تنقلها إلى أرجاء المعمورة والأهرام تنشرها برقا والمؤيد تذيعها تفصيلا ، واستقبلت الصحافة الفرنجية فى مصر هذا الفتى المجاهد استقبالا حسنا وقالت لاريفورم « إن جهاده لجدير بالفخر »

ويرى مصطفى كامل آخر الأمر أن استقلاله بصحيفة يقتضيه واقع الحال ، فأن المؤيد وغيرها من الصحف قد فترت حماستها بعض الشىء ، ولم تعد تحتمل سياسته العنيفة فاعد العدة لإنشاء اللواء فى ختام القرن الماضى ؛ ثم صدر العدد الأول منه فى ٢ يناير

سنة ١٩٠٠ ، وهو يسميه اللواء لأن عند هذا الاسم يخفق كل قلب وتجتمع لديه أصدق الآمال ، وهو يرجو بصحيفته أن يخدم « الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها »

ويعتبر إنشاء « اللواء » مفترقا فى صحافة مصر الوطنية إذ ذاك فقد حمل علم الجهاد وحده تقريبا فى إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته وكانت اللواء فيما بعد لسان الحزب الوطنى ، وهى الصحيفة الوطنية التى كان نظام العمل فيها مثلا يحتذى من حيث الإدارة والتحرير وهى أول صحيفة بعد المؤيد تستخدم الآلة الكهربية فى طبعها ومن أولى الصحف التى عنيت بمادتها وفسحت صدرها لجليل الأمور وخطرها فى صفحات ثمان ، وهى أول الصحف المصرية التى نشرت أخبار مصر وخطب المسئولين فيها ، ووصفت الحفلات الكبيرة بالبرق ، ومحررها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث فى أوروبا عادة ، وهو الحريص على خدمة الصحافة بارسال الشبان إلى أوروبا لتعلمها أو إعدادهم بالتثقيف والتهذيب فى جامعاتها ومدارسها الخاصة

وإذا صح ما ذكرته بعض الصحف وهى تؤرخ للصحافة المصرية خلال الحرب العظمى فان اللواء كانت ثالثة أو ثانية الصحف المصرية ثراء ، فقد قدرت مواردها من هنا وهناك بثمانية وثمانين ألف جنيه مصرى وهو مبلغ قادرا فيما نعلم على تقديم الصحيفة على زميلاتها المعاصرات خير تقديم بجانب رأس مالها من الوطنية الصحيحة وحرارة كاتبها وشيعته من الوطنيين المعروفين ، وقد أردف مصطفى كامل باللواء صحيفة شهرية تشمل على خلاصة لأطيب ما أذيع فى اللواء اليومية من رأى أو مقال

وقد برز مصطفى كامل وجود فى الصحافة العربية حين استقل بلوائه ، وكانت له فيها صفحات لم تكن معروفة ولا معهودة فى صحافة ذلك العهد ، فقد شغل الكاتب قراءه بأمور التعليم ، والتعليم الشعبى الذى ينبغى أن يقوم على أكتاف الشعب ليحس أثره الشعب نفسه فتتحقق أغراضه فى الحرية والاستقلال ، وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذا الموضوع علما يجتمع عنده الوطنيون على اختلاف مذاهبهم وتباين حماستهم للوطن

فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون فى جامعة مصرية تنشىء الشباب تنشئة وطنية يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامة أو أبى الجلاء.

ثم يمضى فى جريدته وله فى كل يوم رأى صائب فى شئون مصر والشرق، ودعوة إلى نهضة بلاده بشتى السبل والوسائل وكان قلمه أعف الأقلام المصرية فى معالجة الشئون الدستورية أو السياسية فهو قلم يطالب بجانب حرية مصر واستقلالها بحياة نيابية صحيحة، وكانت أدق مواقف صاحب اللواء وأخطرها من الناحية التاريخية رسالته فى قضية دنشواى، هذه القضية التى فاضت بذكرها الكتب، وكان لها من الآثار السياسية ما أحسه معاصروه فى مصر وخارج مصر من البلاد الأوروبية وفى مقدمتها انجلترا وفرنسا

ومصطفى كامل صاحب مدرسة صحفية جديدة، لا يعرف الإسفاف فى نضاله أو منازلاته الصحفية، وهو يعالج المسائل المصرية بوسائل وأساليب جديدة كل الجدة، ويكتسب احترام خصومه وأصدقائه على السواء، ويعيش معاونوه فى التحرير

راضين كل الرضى ، يحفظ لهم كرامتهم ويؤدى لهم حقوقهم ولا يبخل على قادر أو مجتهد بجزاء يعوضه عن الجهد الذى بذله فى سبيل مهنته

وأنشأ الكاتب صحيفتين فرنجيتين تؤاخيان صحيفته العربية فسافر فى أواخر سنة ١٩٠٦ هو وصديقه محمد فريد بك لشراء معدات الصحيفتين من أوروبا واستقدام المحررين لهما ، ثم ظهرت الصحيفتان لتنندار اجبسيان L'Etendard Egyptien فى مساء يوم ٢ مارس وذى اجبشين استاندارد The Egyptian Standard فى صباح اليوم التالى

وعند المؤرخ العادل أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل الصحفية للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئا بجانب ما نشر فيهما من المعانى التى كان يعز عرضها على الأجانب فى مصر والخارج ، وهو غرض دفع إلى تحقيقه أن خصومنا صوروا مصر والمصريين كما يقول هو « أعداء لأوروبا نريد جمع كافة قوى الإسلام ضدها وإحداث انقلاب

عام وأظهرونا لمن يجهلون لغتنا كأننا ننادى بالبغضاء والتعصب الدينى.

وقد استطاع صحفينا أن ينال موافقة جريدة لوفيجارو Le Figaro على أن تأذن للجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات بيير لوتى Pierre Loti عن مصر ؛ على أن يكون نشرها فى الجريدتين فى يوم واحد ، وهو عمل صحفى نادر المثال فى ذلك الوقت

وقد مضى مصطفى كامل يعالج حياته السياسية والصحفية بالرغم من غاشيات المرض التى كانت تنتابه بين آن وآخر ، ولم يحل المرض فى أى وقت من الأوقات دون نشاطه الصحفى فهو يحرر صحيفته مريضا أو معافى ويكتب مقالاته بنفس القوة والعنف وبنفس الإشراقه التى تميز بها أسلوبه مهما تكن حالته الصحية تستوجب الراحة والاستجمام

على أن كفاح مصطفى كامل من الجانب الصحفى قد أنصب كله على الناحية السياسية التى شغلت حياته جميعا وأبت عليه أن يفكر فى مسائل مصر الاجتماعية وينظر إليها بهذه النظرة الحرة

التى كان يعالج بها القضية الوطنية ، فبينما كان مصطفى كامل يرنو إلى أهداف وطنية رفيعة ويرجو لحياة مصر أسلوباً سياسياً يتفق وأرقى ما تعيش عليه أوروبا فقد أبى على صحيفته « اللواء » أن تؤازر حركة الإصلاح الاجتماعى التى تزعمها أمثال قاسم أمين ، بل كانت « اللواء » حربا على هذه الحركة وأفردت صفحاتها لخصومها والناعين عليها

ويحسب المؤرخ أن مصطفى كامل وقد نجح فى التوفيق بين العناصر الدينية كان يأبى أن تتوزع طرائق النظر فى الشئون الاجتماعية العامة حتى لا تتأثر الحركة الوطنية نتيجة لهذا التوزع فى أمور داخلية لا يضر إهمالها أو النظر اليها إلى أن تستقر أوضاع البلاد السياسية

وقد بقى مصطفى كامل فى الميدان حتى استبدت به العلة وقضى فى فبراير ١٩٠٨

فهرست الكتاب

الموضوع	صفحة
نشأة الطباعة والصحافة فى الشرق الأدنى	٥
محمد على الكبير	١٤
الخديو اسماعيل	٢٨
رفاعة رافع الطهطاوى	٤٠
أحمد فارس الشدياق	٥٠
بطرس البستانى	٦١
يعقوب بن صنوع	٦٩
الشيخ محمد عبده	٧٨
خليل سركيس	٩٠
شاكر شقير	٩٨
يعقوب صروف	١٠٥
أبو السعود وابراهيم المويلحى	١١٤
سليم وبشارة تقله	١٢٤
أديب اسحق	١٣٥
السيد عبد الله نديم	١٤٥
الشيخ على يوسف	١٥٤
مصطفى كامل	١٦٤

﴿ للمؤلف ﴾

الحياة الثانية ..... ١٩٣٣ نفد

فى المصايف ..... ١٩٣٤ نفد

فى السودان ١٩٣٦

تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ..... ١٩٤٠ نفد

تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ — ١٩٤٢ ..... ١٩٤٢ طبع على نفقة الحكومة المصرية

تاريخ الوقائع المصرية — الطبعة الثانية ..... ١٩٤٢ نفد

تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ١٩٤٤

59- 256

Ø926762Ø

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU63344459
PN5359 .A2
Alam al-Sihafah al-A